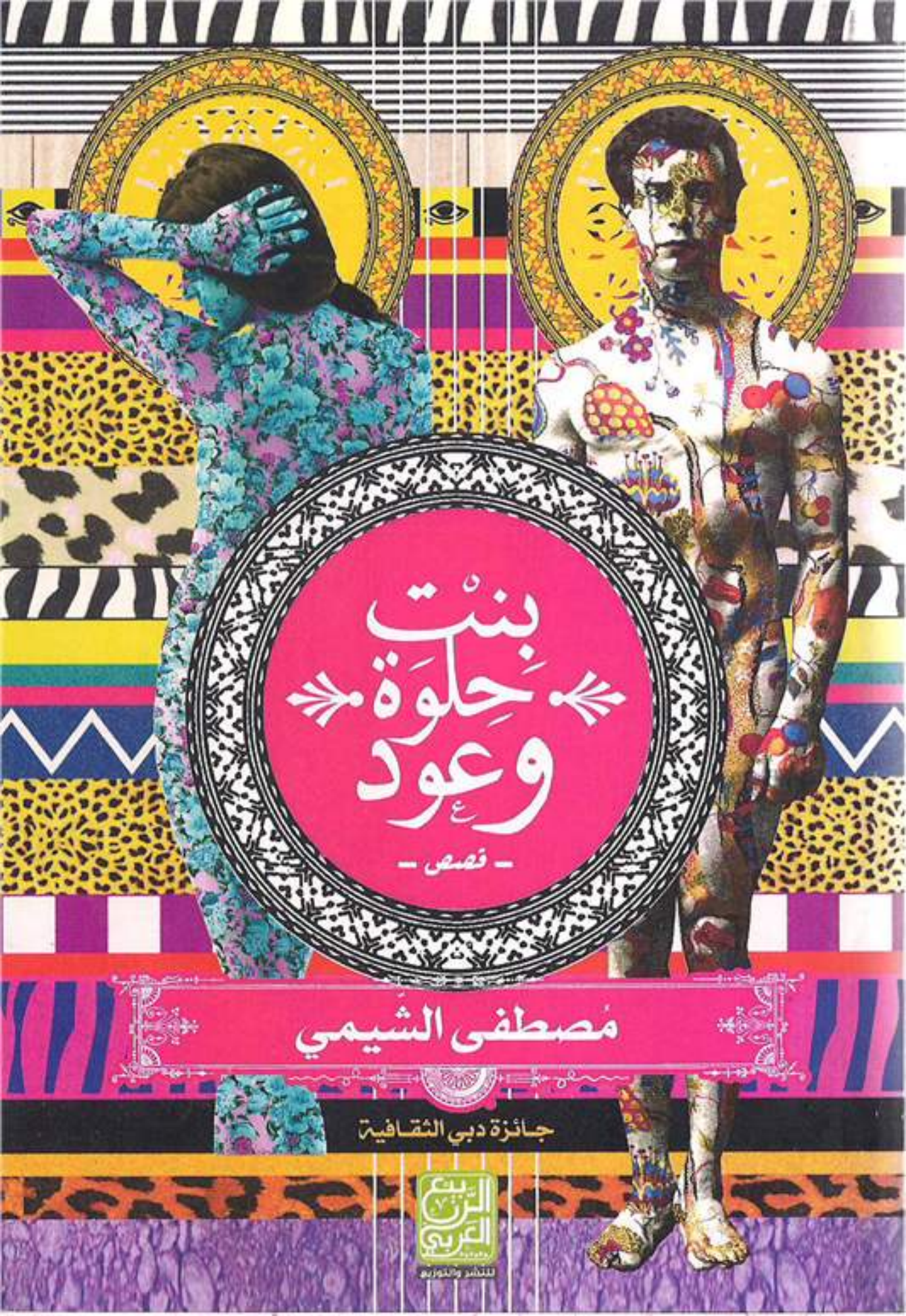
بنت حلوة وعود
- قصص -
مُصطفى الشِيمي
جائزة دبي الثقافية
الربيع العربي
للنشر والتوزيع

أكتبُ لأنني أحبُّ أن أقول

تيرارا رارا!

صلاح جاهين

دودة تعشق الفودكا

الـدودُ يسـكنُني، يسـكنُ أنفـي وأذني وعيـني، لكنـني أحـاولُ جاهـدًا أن أبـدو عاديًّـا. وكلمـا حاولـتْ دودةٌ أن تهـربَ مـن عيني أنقرُهـا بإصبعـي مُسرعًـا وأعيدُهـا للداخـلِ. أسـندُ رأسي بزلطـةٍ صغـيرةٍ كي لا تسـقطَ مـني، أرفـعُ ياقـة قميـصي وأسـير وسـط بقيـة الأحيـاءِ. عزرائيـل المُرتـشي هـو مـن فعـلَ بي هـذا. أخـذَ كل مـالي وأعـادني للحيـاةِ يومًـا واحـدًا. فلمـاذا لـم يهبني جسـدًا جديـدًا أيضًـا؟ عظامـي تتسـاقطُ والدُّودُ يسـكنُني، توجـدُ دودة مخمـورة تضحـكُ في أذني، تلهـو بـنِنٍّ عيـني، وتتزحلـقُ داخـل أنفـي! كـم مـن الوقـتِ لا بُـد أن ينقـضي قبـل أن يكتشـفَ النـاسُ مـوتي؟

أسـيرُ في شـوارعِ القاهـرة الزرقـاء، تبـدو مغايـرة. أتأمـلُ النـاسَ، أحدهـم يطـاردُ حافلـةً، والآخـر يحتمـي مـن الشـمسِ بجرنـالٍ. أتأمـلُ جلـدي، مـزرق اللـونِ، كمـا يليـق برجـلٍ خـرجَ للتـوِّ مـن القـبر. أخـافُ أعـينَ النـاس وأنوفهـم، مـاذا لـو شـموا حقيقـتي؟ النـاسُ يمقتـون الحقيقـة، وأنـا لي رائحـة عفنـة مميزة. أتوقـفُ عنـد عربـة بائـعِ جـوَّالٍ وأشـتري نظـارة شـمس وقبعـة بآخـر شـلن في جيـبي. يقـولُ البائـع بصـوتٍ مبحـوح أن قبعـة "جاكسـون" تليـقُ بي، ثـم يرقـصُ ويغـني:

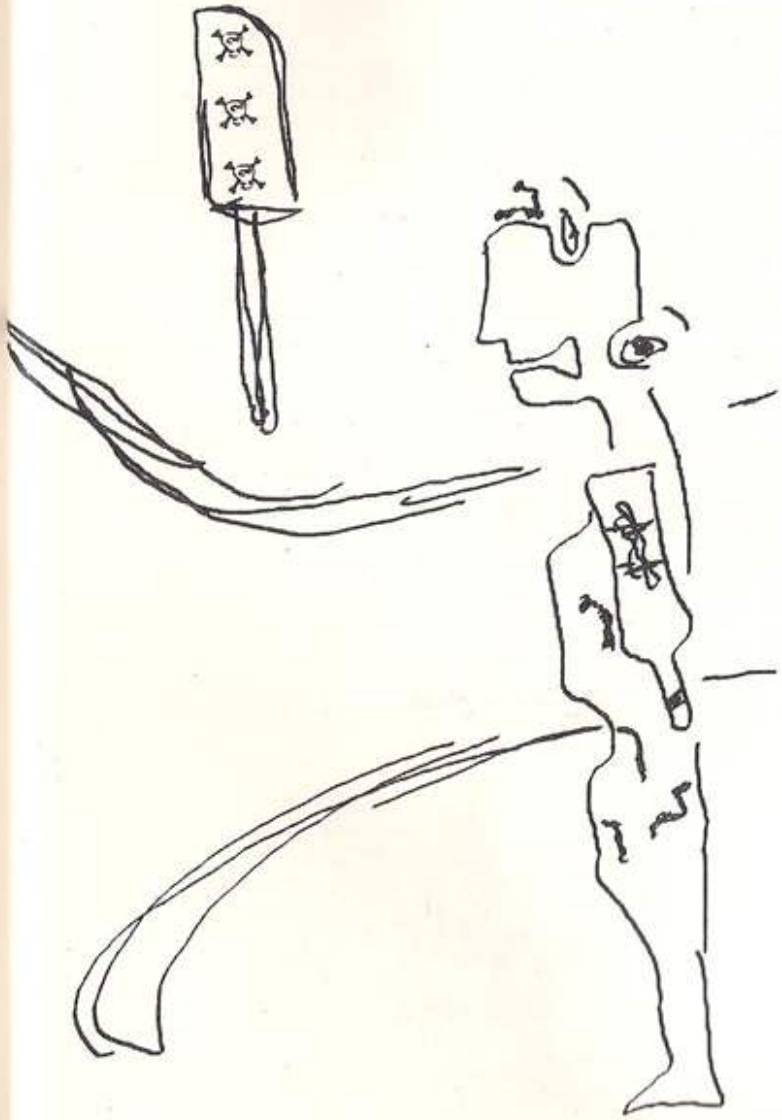

You're outta time

'Cause this is thriller! Thriller night!

There ain't no second chance to fight the thing
with the forty eyes,

Thriller... Thriller night!

أهربُ مذعورًا من ذلك البائعِ المجنون. أعدُو حتى أصلَ عند جروبي، وهناك أقعدُ.. على الرصيفِ بالطبعِ. ماذا أفعل باليومِ الأخير لي في الدنيا؟ أشمُّ رائحةَ البنِّ فتنيرُ عقلي وتفتحُ شهيتي للحياةِ. سأفعلُ الأشياء التي لم أفعلها من قبل. سأدخلُ جروبي، أشربُ القهوة وأتركُ بقشيشًا كثيرًا. سأهاتفُ فتاتي وأصطحبُها إلى "دريم بارك"، ولن أتقيأ هناك من الخوفِ. سنذهبُ إلى سينما سيتي ستارز، لأني لم أدخلْ السينما مع فتاةٍ أحببتها من قبل. وفي المساءِ سنجلسُ في بار باهظ، نشربُ الفودكا وننتشي بوجودنا. وحين تنهضُ أنسى قبعتي وتنسى معطفها، ونسيرُ معًا في الشوارعِ مترنحين، نضحكُ ونرقصُ. توقظُ ضحكاتنا النائمين فيشتمونا من النوافذِ. وحين نصعدُ الدرجَ، يرافقُنا الجيران من العين السحرية بحسدٍ، لأنني هناك في شقتي، سأضاجعُها حتى الموتِ.

أتذكرُ فجأةً مشكلتين تفسدان كل شيء. المشكلةُ الأولى هي المال، عزرائيل اللئيم وهبني الحياة ولم يهبني

المال. كيف أدخلُ جروبي، ودريم بارك، وسينما سيتي ستارز، وبار هابي سيتي، من دون المال؟ قلتُ لا توجد مشكلة، أتنازلُ عن نصف أحلامي، نصف عمري، من أجلِ العملِ. وبعدها، أذهبُ برفقةِ فتاتي في المساءِ إلى سينما رخيصة من سينمات وسط البلد الكثيرة والمبعثرة. المشكلة الثانية هي: من هي الفتاة التي ستكون برفقتي؟ أنا لم تحبني فتاة من قبل. قلتُ لنفسي لا توجد مشكلة، الفتيات التعيسات كثيرات، سأجدُ واحدة تليقُ بموتي، سأقولُ لها: "هاي، معي تذكرتا سينما مجانًا.. تعالي معي"، أو سأقول: "أنا عدت إلى الحياة من أجلكِ أنتِ". ستعجبُها مقولتي الثانية وتضحكُ وتأتي معي، لكنها لن تصدقني حقًا من قلبِها.

أحملُ الطوبَ على كتفي وأسيرُ مع الأشقياء نحو ذاك المبنى المظلم. يرتدون هم أسمالهم وأرتدي أنا جلدي البالي. عظامي تتساقطُ الواحدة تلو الأخرى، أما هم.. فأجسادهم قوية وعضلاتهم كبيرة لكن جلدهم مشقَّق وأعينهم غائرة. ماذا نفعلُ؟ نبني الجدار تلو الجدار. أقصدُ: ماذا نفعلُ حتى ينتهي هذا العمل المرهق؟ لو أستطيعُ أن أسمعَ أغنيةً أحبها! أو لو يمضي الوقتُ أسرع! متى يحينُ موعدُ تلك الاستراحةِ حتى أنامَ من التعبِ أسفل تلك الشجرة؟

أرى فيما يرى النائم..

الأشقياء يرقصون من حولي. عظامهم تتساقطُ، وأعينهم تقع. والمبنى المجهول الذي نشيِّده أراه على هيئة ضريح كبير. أنا أيضًا أرقصُ معهم والدودة المخمورة تصرخُ في أذني. أريدُ أن أشرب الفودكا، الفودكا أيها "الملاعين". الصراصير والدود يملأون شوارع القاهرة، والناسُ يمشون كالموتى غير مدركين. وأنا لا أبالي، أريدُ أن أشربَ الفودكا أو أتذوقها بطرفِ لساني.

الأشقياء يرقصون.. وعظامهم تتساقط.. أعينهم يسكنُها الدود، وأنا لا أبالي. أسكرُ.. أسكرُ.. أسكرُ.

يعطيني المقاولُ المالَ فأرحل، أتوقفُ أمام مكتبة صغيرة حين أرى تلك الفتاة الجميلة التعيسة التي تعملُ بها، بالضبطِ على مقاسِ ذوقي. الليل يسكن الشوارع والبيوت، وأنا أدخلُ المكتبةَ وأفكرُ فيما سأقول لها. أرجوكِ.. أرجوكِ ..اقبلي دعوتي إلى السينما، لم يبقَ لي في الحياة سوى ساعات معدودة. أرجوكِ أمسكي يدي وقبِّليني. أرجوكِ.. أرجوكِ. عندما أقولُها تبتسمُ الفتاة لي، فأرى تلك الدودة التي تسكنُ فمها. أُصعَقُ، فتُذعَر هي وتسقط منها عينها اليُمنى، تنحني كي تلتقطَها فتسقط العين الأخرى، تعتذرُ فأُذعَر وأهرب بعيدًا. ربما لا زلت نائمًا.

الصراصير تخرجُ من البلّاعاتِ، تملأ شوارع القاهرة، والناسُ يمشون كالموتى غير مدركين. الدود يسكنُ أعينهم وأجسادهم. تسقطُ ذراع أحدهم أمامي فأُذعَر، أتراجَع

إلى الخلفِ، يشتمني ويلعن ذراعي. يقول "يا مُرائي". أخرِجْ أولًا الخشبة من عينيك وحينئذٍ تبصرُ جيدًا". أقول: "ماذا تقصدُ؟"، فيشدُّ ذراعي وينتزعها، يُلقيها في الهواءِ ويلقفُها! أتأملُ الناسَ بذراع واحدة وعين تسكنُها الدود. أقول: "عزرائيل أنجدني يا عزرائيل". وحينها فقط أتذكرُ كل شيء. عزرائيل اللعين لم يكن مرتشيًا ولم يقبل عرضي، ابتسمَ لي وجلسَ على طرف فراشي، مدَّ يده داخل جوفي وقبضَ روحي. وبعدها استيقظتُ هنا، عزرائيل لم يعطني زجاجة الفودكا، هذه الحياة هي الموت.

بنت حلوة وعود

السيجارة الأولى تفسد كل شيءٍ، هو لم يتذكرْ هذي الحكمة عندما وقفَ أمام البدروم. هل يوجد من يعيشون بالأسفل حقًّا؟ الموتى يفعلون. ولكن يقصدُ، هل يوجدُ أحياء يمكنهم أن يجدوا متعتهم أسفل الأرضِ؟ كان يريدُ أن يرى تلك الأشياء رؤية العين، لأن الرؤية، كما يُقال، هي أم المعرفة ودليل القلب. لم ينظرْ سوى للأرضِ وهو ينزلُ الدرج. كان يمكن أن يرى كل الأشياء من دون أن يخطو خطوة واحدة للأمامِ. ينظرُ من خلالِ "خرم" الباب، فيتجاوز الجدران، والستائر، والندل، والعاهرات. يرى كل الأشياء التي تحدثُ بالأسفلِ، ما كان وما سيكون. لم يفعل هذا. هو إنسان ضعيف، ليس نبيًّا، الأنبياء فقط مَن يملكون الرؤية من خرم الباب.

وكان ينزلُ الدرجَ برفقة ثلاثة من أصدقاءِ الصّبا، وهو يتخيلُ تلك العوالم السرية التي قرر أن يقتحمها. قالَ لهم: "هي موضوع رائع للكتابة". وفي الحقيقةِ هو لم يكن يريد الكتابة عنها بقدر ما كان يريد أن يعيشها. قالَ أحد أصدقائه: "تعال. سنُريك عاهرة البدروم الجديدة". لمْ يسمع ما قيل، في تلك اللحظة بالذات كان يخلع الدبلة

من يده اليسرى، ويشردُ فيما يمكن أن يحدثَ. هل يشربُ الصودا أم الكحول؟ السجائر أم الحشيش؟ وماذا سيقول: الصدق أم الكذب؟ لم يفكرْ طويلًا في تلك الأشياء، لأن الدرج كان قد انتهى، وهو يريد أن يرى البدروم ومن في البدروم. يريدُ أن يشاهد النهود والأفخاذ كطفلٍ صغيرٍ يشاهدُ فيلمًا جنسيًّا للمرة الأولى.

العاهرة الجديدة اسمها أميرة، فتاة لمَّا تبلغ الثامنة عشر، لكنَّ لها جسدًا ناضجًا. كانت جميلةً. أجمل من أيّ عاهرة أخرى في البدروم، تبدو كأنها ابنة ناس ومهذبة. حين يقولُ لها أحدٌ: "تعالي أضاجعك"، تقولُ: "تعال، ضاجعني، من فضلك". وكان الناس يضحكون حين يسمعونها تتحدثُ بهذا الشكل. وبالرغمِ من أدبِها الجم كانت سليطة اللسان جدًّا. تقولُ لهم: "أنتم حمير، خلقكم الله لمضاجعة النساءِ فقط". وتقولُ أيضًا: "وأنا عاهرة، قحبة، خلقني الله كي أضاجعَ الرجال فقط". كان الجميع يتعجبون من كلماتها، حتى أكثر العاهرات خبرةً وشبقًا كنَّ يخجلن من قول هذا على مسمَع الرجال. هي كانت صادقة، وكانت كلماتها تزيد من شهوة الرجال فيها.

بالأسفلِ. الكثير من العاهرات الجميلات، اللاتي لا يرتدين سوى قطعة أو قطعتين. لحمهنَّ شهيّ وأعينهنَّ جميلة، لكنهنَّ اختفين جميعًا حين تجلَّت أميرة في المشهدِ. لم يرَ سواها. قال أصدقاؤه: "خالد هذه أميرة. أميرة هذا

خالد". العاهرة التي اسمها أميرة صغيرة للغاية وهو عجوز جدًّا، بشعر أبيض خفيف، ويرتدي نظارة طبية وبنطالًا وقميصًا. فتحت أميرة زجاجات الخمر لهم ووقفت بالقرب من خالد. كانت تريد أن تحكي، فقط القليل من الحكي، ولم تكن تعرف أن بعض الحكي قد يُفضي إلى الموتِ!

كانت أميرة تعرفُ كل شيءٍ عن خالد، لأن أصدقاءه الأغبياء قد حكوا كل شيء فقتلوه بحُسن نية. قالوا لها: "هو متزوج من امرأة جميلة تُدعى غادة". فقالت: "كل الجميلات يدعون غادة، أما الفقراء مثلي فيدعون بالأميرات". قالوا: "عنده ابنة جميلة تُدعى سما". فقالت: "كنتُ أحلمُ بهذا الاسم لطفلتي واليوم لا يليق بها". قالوا: "يعملُ في بنكٍ براتبٍ كبير، لا يدخّن، لا يشرب الكحول، لا يكذب ولا يخون". قالت: "فلمَ سيأتي غدًا إلى البدروم؟". سكتوا ولم يُجيبوا. واليوم قالتْ: "أنتَ. لماذا يأتي كهلٌ مثلك إلى البدروم؟" لم تكن تنتظر أن يكذب، ذلك الرجل الوقور، ولمَ يفعل؟ قالَ: "أنا رجلٌ وحيد، بائس وتعيس، وليس لي زوجة أو ابنة". سكتَ لحظات ثم تابع: "ماذا يفعلُ رجلٌ مثلي في الحياة؟ أنا أحسدُ عاهرة مثلك على شبابها وحريتها".

لماذا يكذب؟ لماذا لا يقول صراحة: "جئتُ كي أضاجعكِ أيتها العاهرة الصغيرة". هي تراه وهو يتأمل جسدها، نهديها وردفيها، فتنهضُ وتجلسُ على حِجْرِه فينهرُها. يقول لها: "من قال لكِ أنني أريدُ هذا؟". تندهش وتكاد تقول:

"لأني رأيتُ قضيبك منتصبًا تجاهي كسَهم البوصلة". لكنها تبتلع دهشتها. فيقول: "أريدُ عاهرة غيرك، أنتِ قبيحة ومقززة، ولا يعجبني جسدكِ". يكذبُ. يخشى ألا يكون فحلًا معها. يريدُ امرأة قبيحة ومقززة، ولها عينان غائرتان من شدة السُّكرِ حتى يكون فحلًا. هذه المرة لا تبلع القطة لسانها. تقول: "تعال. ضاجعني من فضلكَ، أريدُ أن أعرفَ هل أنت رجلٌ حقًّا أم امرأة مثلي؟". يتعجبُ من جرأتها. يشتمُها قائلًا: "عاهرة رخيصة". فتغضبُ أكثر. وتقول: "وأنت رجل خائن ومُدَّعٍ، ذيلك نجس، مثل أي كلب آخر".

اندلعت المشاجرة بينهما، كان هو من ابتدأها حين أمسكَ بزجاجة الخمر وكسرها على الجدارِ المجاور. حاولَ أن يشقَّ رأسها نصفين، لكنها -بخفَّة تليقُ بعاهرة- تراجعت للوراءِ قليلًا، وبعدها فعلت المثل، وانقضَّت على عدوِّها -بخفَّةٍ تليق بحيَّة- وتركت فوق الرأس والعينين خرمًا كبيرًا، ولم تهدأ، حتى بعدما سقط على الأرضِ جثةً هامدةً. ظلَّت تشربُ من دمائه وتصرخُ: "أيها العالم المُدَّعي لن تقتلني". خاف الناس جميعًا من جنونها فابتعدوا للوراءِ مذعورين، لكنها نهضت واقتربت منهم وهي تقول بتوسُّل: "أنا تعِبةٌ جدًّا. مَن يُضاجعني؟ أنتَ ضاجعني من فضلك. أنتَ، ضاجعني، أرجوك". لكنهم ظلوا يبتعدون ويتعثرون. ما عدا هو، الرجل الميت على الأرض! كان يسمعُ صوتها ويريدُ النهوض إليها. لماذا لم يضاجعها؟ كيف

وصلت الأمور فجأةً إلى هذا الحد؟ ها هو على الأرضِ ميتًا كأيِّ جثةٍ حمقاء، وها هو عزرائيل على بُعد خطوتين. "عزرائيل. أيها الملاك الطيب، انتظر قليلًا، أنا لم أمُت. أعطني فرصة أخرى. فرصة أخرى أيها الملاك الطيب".

تمت.. أي: مات.

ربما.. لم يفعل.

تشبَّثَ بالبداية مرةً أخرى، والفضلُ يعود للملاكِ الطيب عزرائيل.

***

عندما وقفَ أمام البدروم لم ينظرْ من خلالِ خرم الباب، جاءَ من أجل مضاجعة تلك العاهرة الصغيرة. لم يكن نبيًّا ولم يكن يريد إنقاذ روحها الغارقة في مَنيِّ هذا العالم. كان يمكنُ، بقليلٍ من القوةِ، أن يتذكرَ أو أن يرى. فيقول: "كنت هنا من قبل". ربما يقول أيضًا: "كأن هذا حلم يزورني كثيرًا". لكنه لم يفكر سوى في نهديها، تلك العاهرة الصغيرة وهي تقول: "ضاجعني أرجوك". نزل الدرجَ، الدرجة تلو الأخرى، ولم يرَ عزرائيل الواقف هناك في الظلِّ، عزرائيل الملَك الكريم الذي أعطاه فرصة أخرى للنجاة.

عندما جلسَ على المائدةِ رأى الاختيارات كثيرة. هل يشربُ الصودا أم الكحول؟ السجائر أم الحشيش؟ وماذا

يقول، الحقيقة أم الكذب؟ كان يتفرجُ على النهودِ والأفخاذ بسعادة طفل يمارسُ العادة السرية للمرةِ الأولى. فجأةً توقَّف عن مداعبة عضوه عندما رأى العاهرة الصغيرة تقتربُ نحوَه، ووقفت بجوارِه. فجأةً اختفت كل النساءِ ولم يرَ سواها. ولم يرَ عزرائيل أيضًا الذي كان جليًّا في المشهدِ. كان هناك: الرجل الذي يغني في البدروم. وهناك أيضًا: أسفل جلد الرجل الذي يصب "كاسات" الخمر، وهناك: البودي جارد الضخم الذي يحرس باب البدروم.

عندما جلست العاهرة الصغيرة على حجره نام عضوه من الفزعِ، وهي كانت تريدُ فقط بعض الحكي، لكن المسكين اختار الكذبَ خشيةً من بهاء جسدها. قالَ لها: "أنتِ عاهرة ومقززة ولن أضاجعك"، فغضبت بشدة. العاهرات لا يقبلن أبدًا تلك السُّبة ولا يحببن الكذبَ. فماذا فعلت تلك العاهرة؟ وماذا فعل هو كرجل أعمى؟

عندما اندلعت المشاجرة...

توق الفراشة

في الواقعِ كل القصصِ تبدأ بشكلٍ مُمل، لذا كنَّا نجلسُ، نقزقز اللبَّ ونشربُ قهوتنا. نتفرجُ على القردِ الذي يأكلُ الشوكولاتة، والكلب الذي يمشي على قدمينِ. وبالطبعِ، لم نكن في السيرك، لكن كنا في مقهى العم صالح. الأهم أنني كنتُ أريدُ الكتابةَ رغم أنف هذا الجنون/ السيرك. وكان صاحبي يريدُ أن يتبولَ كما أخبرني!

ها أنا أبدأُ.. (الكلب أبيض)

كادت تتعثرُ وهي تنزلُ الدرجَ، بصخبٍ وتوترٍ، تهربُ من شيءٍ ما. فتحتْ باب عمارتها وغادرت، بينما ظلَّت أعين الفضوليين تراقبُها من النوافذِ والشرفات. شابةٌ جميلةٌ ترتدي معطفًا أبيضَ يفضحُها في سواد الليل القاتم/ الساكن. أين تذهبُ في هذا الوقت المتأخر؟ والسؤال الأهم: من هو هذا المحظوظ؟ هي لن تبالي بفضولِ الجيران/ القراء. ستتابعُ سيرَها ولن تتوقفَ في منتصفِ الطريق عندما تقتحمها فجأة صورة زوجها المُلقى أمام التلفازِ بجوارِ زجاجة الويسكي.

خلعتُ قبعتي وهرشتُ في صلعة رأسي، عندها رأيتُ صاحبي يعودُ إليَّ. ألقى بمنديلٍ أسفل الشجرة التي تجاورنا،

في المنديلِ رأيتُ اللون الأصفر الفاقع. "يَعْ!"... تقززت نفسي. سألني صاحبي عما إذا كنت كتبتُ شيئًا، وحين قرأ قالَ إنها بداية جيدة، تلقي بالقارئ في قلبِ الحدث مباشرة، وتطرحُ العديد من الأسئلةِ مثل: لماذا هربت من زوجها؟ وإلى أين ستذهب يا ترى؟ هل هناك آخر كما يخمِّن الجيران؟ وماذا سيفعل زوجها السكِّير؟ لكن هناك مشكلة، ما فائدة هذه الشَّرطَة المائلة الغبية التي أكتبُها؟ هي تشرحُ. ثم عنَّفني قائلًا: "لا تشرح أبدًا".

ها أنا أكملُ.. (البقع صفراء)

كانت "شيري" تتبعُ ضوءَ أعمدة الإنارة الأصفر، يسلمُها الضوءُ من عمودٍ إلى عمودٍ ومن شارعٍ إلى آخر، كأنها فراشة حمقاء مفتونةٌ بالنارِ/ الحرية. لم تنزلْ "شيري" في هذا الوقت المتأخر من الليل من قبل، ومع هذا فهي لا تخافُ الشارعَ الفارغ/ السكارى والمراهقين. توقفتْ أمام فاترينة محل أزياء حريمي، وشردتْ في المانيكان العارية بالداخلِ، لماذا لا يتحركن ويكسرن الزجاج، وبعدها يجرين عاريات بصخبٍ جنونيٍّ لذيذٍ في الشارعِ؟

رحلَ الحاوي بعيدًا، تركَ لنا مقهى العم صالح والليل. كنتُ شاردًا في ذلك القرد والكلب، وكان صاحبي قد فرغَ من القراءةِ، وعم صالح يضعُ أمامنا شايًا بالنعناع وينسون. كنتُ متشوقًا لمعرفة رأي صاحبي، ولا أعرف لِمَ توقَّعت تعليقًا آخر غبيًّا، مثل أن يتركَ الإسقاط ويُعلق مرة أخرى

على الشَّرطَة المائلة. ولم يخِب ظنِّي إذ قال: "شقراء هي بطلتك.. أليس كذلك؟". سألتُ "وما علاقة هذا السؤال بالنص؟ قال: "هكذا أتخيلُها". تنهدتُ وقلتُ: "لا.. ليست شقراء بل لها شعر أسود قصيرٌ، فرنسيٌّ أنيق، وعينان واسعتان ورموشٌ طويلةٌ ساحرةٌ. هي فاتنة يا صديقي". سألني بذهول: "لها شعر أسودٌ قصير، فرنسيٌّ أنيق، وعينان واسعتان ورموشٌ طويلةٌ ساحرة؟" قلتُ: "نعم هي كذلك". سألني: "وترتدي معطفًا أبيضَ اللون"، قلتُ: "نعم "، سألني برجاءٍ: "وحذاؤها.. ما لون حذائها؟"، قلتُ: "أبيض اللون، لكن، ما فائدة هذه التفاصيل الصغيرة؟"، فبدأ صاحبي ينهارُ وينكمشُ أكثر فأكثر في المقعدِ وسألني: "وعيناها. ما لون عينيها؟ أخبرني أرجوك". قلتُ: "عيناها سوداوان"، هنا فقط هدأ. بدأ يلتقطُ الأنفاس. وما عاد ينظرُ في كل مكان، هدأ وضحكَ وقال: "لن تصدقَ، هناك فتاة تجلسُ في المقهى، وبالتحديد وراءك. لها ملامح بطلتك وملابسها. لكنها، حمدًا لله، لها عينان زرقاوتان". وعندما نظرتُ إلى الفتاةِ رأيتُها تخلعُ عدساتها اللاصقة!

ها أنا أخلقُ.. (العدسات زرقاء)

في المقهى جلستْ شيري ووضعتْ على الطاولةِ وردةً زرقاء. طلبتْ من عم صالح "عصير مانجو" فأحضرَ لها عصير موز. اندهشتْ لكنها لم تعترضْ، شردتْ في شريطِ حياتها القصير، والذي بدا كفيلم قديم مُمل. هي لم

تختر شيئًا واحدًا طوال حياتها، أمها هي من اختارَ لها ملابسها ودُماها وأصدقاءها، وأبوها هو من اختار لها كلّيتها وتخصُّصها وزوجها، فلماذا تريدُ أن تسخطَ على عم صالح العجوز من دونِ العالم، حين يُحضر لها عصير موز وليس عصير مانجو؟!

لم تمر دقائق حتى نادتْ على عمِ صالح، وحين وقفَ أمامها سكبتْ عصيرَ الموز على البلاطِ، وقالت: "أنا قلت هات مانجو". وعلى غير المتوقع أخذَ عم صالح الكوبَ باستسلامٍ ولم يتذمرْ. كان الأمر سهلًا ومُريحًا، والأهم جميلًا. هي لن تستسلم بعد اليوم لأي نص ولن تلتزم بالدورِ المفروض عليها. بعد قليل، ستُخرجُ ورقةً وقلمًا من حقيبتها وتكتبُ بعض الأشياء وهي تشربُ عصير المانجو اللذيذ.

فجأة، انتابَ صاحبي ذعرٌ مُبالَغ، ما إن رأى تلك الفتاة تخلعُ عدساتها، وتتشاجرُ مع عم صالح. تُخرجُ ورقةً وقلمًا وتُعيدُ كتابة قصتها. لم يقلْ: "هذه الفتاةُ حقيقية!"، ولكن قال: "نحن أبطالٌ خياليون!". أدهشني هذا المنظور المختلف. قلتُ: "ماذا تقصد؟"، فانكمشَ في المقعد أكثر كفأرٍ مبلول وقال:" نحن أبطالٌ خياليون، انظر، ها هي بطلتك الخيالية، تجلسُ معنا، وتكتبُ عنّا، وتسجنُنا في قصة قصيرة". سألتُ نفسي: هل يُعقَل؟ أنا قصة قصيرة. هل أُذعَر؟ لا. أعرف قيمةَ القلم ودورَ الممحاة، وأعرفُ

أيضًا متى ألتزمُ بالنصّ ومتى أثور، لأجلِ النص أيضًا.

كانت تكتبُ من طاولتِها المجاورة وهي تضحكُ : هُما أحمقان... سيُذعران ويُذعران ويُذعران!

وقفَ صاحبي فجأة فوق الكرسي وصرخ مذعورًا، "افعلْ شيئًا". قالها كأن السفينة تغرق. نظرَ إلينا جميع الجالسين في المقهى وضحكوا، وضحكت أيضًا المرأة الجميلة الجالسة ورائي وغمزت لي بعينها. "هل ترانا؟" سأل صاحبي، وقالَ: "امحُ وجودها مثلما خلقتها. لا تتركها تجعلُنا أبطالًا خياليين يؤمنون بكذبة وجودهم". كيف أفعلُ هذا؟ هي جالسةٌ ورائي حقًّا. "ارفعي يدكِ" لن ترفعَ يدها. "اضحكي"، لن تضحكَ. لا سلطان لي عليها، هي امرأة حقيقةٌ حرة.

قالَ لي صاحبي فرِحًا: وجدتُها.. سيستيقظُ زوجها ويبحثُ عنها وهكذا نتخلصُ منها.. نهايةٌ سعيدةٌ.

استيقظَ زوجها فجأة على صوتِ المنبه، شاعرًا بمطرقةٍ تدقُّ بعنف داخل الرأسِ، صداعٌ من أثرِ السُّكر. نهضَ ونادى على "شيري" فلم ترد. دخلَ غرفتها فلم يجدها. وجد ورقة فوق التلفاز تخبره فيها بمكانِ وجودها، في مقهى العم صالح، وقرارها بالهروبِ للأبد. حين انتهى من القراءةِ ثار كالمجنونِ، ونزلَ يعدو في الشوارعِ، يتتبعُ رائحتها العالقة في الهواءِ والجدران. وعندما بدأ يقترب من مقهى العم صالح نهضتْ "شيري"، لأن موعد الرحيل قد

حان. وهنا نهضتُ لأن موعد رحيلي قد حان أيضًا. أصافحُ الفتاةَ فتقبّلني، أضحكُ فتضحكُ. يتأملُني صاحبي المسكين مصعوقًا. يراقبُنا ويُصعقُ أكثر حين يرانا نركبُ سيارتي وننطلقُ بها نحو مدينتنا البعيدة. من الآخر المحظوظ؟ الجيران يتساءلون. وصاحبي يُعيدُ القراءة. يقول: "وهم!". يصيح باستنكار "هذه مجرد قصة!". ومن بعيد يرى رجلًا مترنّحًا يعدو. يقول "لا يُعقل". يتساءل "هل رحل الحاوي؟". يُصعَق.. يُصعق أكثر. يرى زوجها المترنّح يتأمل الوجوه قبل أن يعدو بلا هدف.

كأس مقدَّس

تقفُ أمام الكاميرا كما تقفُ أمام المرآة. تتذكرُ كلمات المخرج لها: "أنتِ المسيح"، لم تأتها الجرأة لتسأل: "كيف؟ المسيح رجلٌ وليس امرأة!"، ولم تزد قائلةً: "ليس رجلًا فقط ولكن فحل". كل الأنبياء فحولٌ؛ وهبهم اللهِ من القوةِ ما يكفي لمضاجعة من شاءوا من النساءِ.

هي المسيح اليوم، ستقفُ أمام الكاميرا كنبيَّةٍ، وفوق رأسها هالة من النورِ، وعلى الصليب أخيرًا ستنام. هل يصدقُ المشاهدون أن المسيح يمكن أن يكون امرأة؟ هي من عليها أن تقنعهم بهذا، على قدرِ شهوتها الجنسية يصدقها المشاهدون. ستتأوهُ وتخلعُ ملابسها قطعة قطعة، وستُبقي على جسدِها الـ Bra فقط ومن الأسفلِ لن ترتدي الـ Panti. لكن الكاميرا لن تجرؤ على الاقترابِ، لذا سيتركُ المخرجُ للمشاهدين، وللشياطين أيضًا، حرية التلقِّي. ماذا قال لها المخرجُ مرة أخرى؟ "أنتِ المسيح". حسنًا فعلَ، ولكن، لماذا لم يخبرها ماذا تفعل لتتقنَ الصلبَ أمام الكاميرا؟

الذراع اليُمنى

كأي طفلة مهذبة كانت هي، تأكلُ سندوتشاتها في المدرسةِ، تستذكرُ دروسَها، وتقوم بالمفروض عليها، ولا

تشتري بمصروفِها الشيبسي والبيبسي. وحين يُعيدها والدها إلى المنزلِ تحكي عن مي، ويسرا، وأميرة، الفتيات قليلات الأدب اللاتي يلعبن مع الأولاد في الفسحة. تقول لوالدها: إن مي تحب أحمد، ويسرا تحب خالد، وأميرة تحب وائل. تقول إنها على عكسهنَّ لن تحب أحدًا أبدًا. وحين يرمقها والدها بشكٍّ تُضيف ببراءة: "ربنا فقط"، وحين يبتعدُ ببصرِه عنها تضيف: "الفتيات اللاتي يلعبن مع الأولادِ لن يدخلوا الجنة أبدًا". يربتُ والدها على رأسِها فتبتسمُ في سعادة وتقول أشياء أخرى، عن ثناء مدرسيها عليها، وعن درجاتها المرتفعة في الدينِ والحساب. تظلُّ تثرثرُ في أشياء أخرى كثيرة حتى ينسى والدها ملابسها المتسخة بالطين؛ فلا يعنفها. هي الطفلة المهذبة التي تسمعُ الكلامَ، لكن، في الفسحة تلعبُ بعرائسِ الطين، وتحلمُ أن تصير ممثلة كبيرة حين تكبر مثل سعاد حسني أو نادية لطفي.

الذراع اليُسرى

هل يحبها يوسف بالفعل؟ ينظرُ إليها نظرات ذات مغزى! تغمزُ لها صديقتها مي فتبتسمُ نور وتتكمشُ في الـ Desk. يوسف يحبها فماذا ستفعل؟ ستدَّعي أنها لم ترَ شيئًا وستُغني في نفسِها: "يا واد يا تقيل". ولن تتركَ مقعدها عند الفسحة، ولن تنزل إلى الـ Yard. يجلسُ يوسف أيضًا في الفصلِ ولا يتحرك. يظل جالسًا قليلًا حتى يتجرأ، ويقتربُ منها. يتأملُها لحظة ويقول: "زعلانة؟" فترد دون أن

تنظر: "تؤ.. تؤ". وهي تغني في داخلِها: "يا مجنِّني". يصمتُ يوسف لحظةً أخرى قبل أن يقول: "تعالي نلعب معًا بالأسفل"، لكنها تقول وهي شاردة: "آه.. لو يبوسني رشدي أباظة". قالتها وكانت تنتظر أن يخبرها أنها جميلة مثل سعاد حسني، كي تقولَ هي أيضًا: "وأنت رائع مثل رشدي أباظة"، لكن يوسف سأل مندهشًا: "مالك ومال التمثيل؟"، فردت ببراءة: "أنا ممثلة كبيرة"، أضافَ مستنكرًا: "سيبوسك الجميع؟". صممت لحظة وتلعثمت ثم قالت غاضبةً: "عادي. سعاد حسني كانت تبوس رشدي أباظة. عادي جدًا"، وهنا نظرَ إليها بقرف وتركها، وبعد الفسحة حين عاد وجدت الجميع يقولون إنها فتاة غير مهذبة، وكتبوا على الـ Blackboard بالبنطِ العريض:

Nour is bitch but she's sexy bitch

وأشياء أخرى كثيرة مخيفة مسحتها الـ Miss حين دخلت إلى الفصل.

القدم اليُمنى

فجأة، وجدت نفسها منبوذةً من الجميع، لأنها الفتاة سيئة السُّمعة التي تريد أن تقبلَ رشدي أباظة. صارت تجلس وحدها في الـ Yard، تتأملُ الأولاد والبنات الذين يلعبون معًا وتنتظرُ من يأتي ويقول لها: "تعالي. سألعبُ معكِ". تنتظرُ يوسف بالذات كي يقول: "كنتُ غبيًّا. أنا

رشدي أباظة وأنت سعاد حسني". وحين تمل الانتظار تنهضُ وتقتربُ من بعض الأولادِ والبنات. تسألهم أن تشاركهم اللعب فيشتمونها ويقول: "امشي يا Sexy" ويتركونها وحيدة. الوحدة لا فرار منها.

في النهايةِ لا بُد أن يحضرَ أحدٌ، هو والدها بالطبعِ. يتأكد أنها أكلت كل سندوتشاتها ولا يعرف أنها كبرت وصارت تلقي بها في صندوقِ القمامة قبل أن تغادر الفصل. صارت تأكل الشيبسي وتشربُ البيبسي وتدخن السجائر خلسة في الـ Wc. تسيرُ في الشارعِ مع والدِها بحزن عميق ولا تحكي عن مي، ويسرا، وأميرة، الفتيات اللاتي يلعبن مع الأولادِ في الفصل. لكنها تحكي عن تلك الطفلة التي تراها دائمًا تجلسُ وحدها في الظل وقد نبذها الجميع، لكن والدها أحمق مثل الجميع ولا يبالي. تصمت هي أيضًا. تتأمل الناس وهم يهرشون معًا ويضحكون معًا. يمرُّ بجوارها قطيع من الخرفان، يع! تلفتُ نظرها تلك المعزة الشاردة التي تسيرُ وحيدةً. لماذا يطاردها الراعي ويضربها بالعصا؟ تظل تتأملُها يومًا بعد يوم وتندهش من عِندِها وإصرارها على الهربِ.

القدم اليُسرى

كان لا بُد أن تجد لها صديقًا جديدًا. الحيوانات الأليفة فكرة لا بأس بها، بالنسبة لغيرها، أما هي فلم تكن تريد ما يذكِّرها بضعفها. كان الكتاب هو البديل الأفضل. لماذا لا

تقرأ قصة حياة سعاد حسني ورشدي أباظة ونادية لطفي؟ هل يبوس الممثلون بالفعل أم يمثلون البوسة؟ وما طعم البوسة أصلًا؟ وهل هي حقًّا أمر مُخزٍ؟ الكثير من الأسئلة، والإجابات موجودة في الكتبِ. لماذا لا تقتني مثل هذه الكتب؟ لأنها كتبٌ إباحية وهي فتاة مهذبة. أبوها لن يوافق بالطبع، لكن هل لا بُد أن يعرفَ؟ ستفعلُ كل الأشياء التي تريدها في السرِّ. ستقول لأمها: "سأذهبُ إلى الدرسِ"، وتذهبُ إلى المكتبةِ، وهناك تجلسُ بالساعات، تقرأ عن السينما والمسرح، والنجمات والنجوم، والقُبلات المُحرَّمة. ستُعيدُ قراءة آدم وحواء وتفاحتهما وتعطي للحكايةِ دلالات أخرى. لماذا لا تكون التفاحة هي هذه القُبلة؟ هل كانت حواء تريد أن تصبحَ نجمة سينما؟ وآدم، هل وافق أم اعترض؟ ربما أراد أن يكون هو المخرج. وبعدها ماذا؟ ستمل من المكتبةِ وتشتاقُ إلى بيتها؛ لذا ستأخذها معها وتخبئها في درجِ الملابسِ الداخلية. هنا لن يجرؤ والدها على الاقترابِ. ستشمُّها كل حين فتجد فيها رائحة جسدها فتحبّها أكثر، ولن تنسى مراقبة والدها الذي يسكن خرم الباب الضيق.

***

كانت تقفُ أمام الكاميرا كما تقفُ أمام المرآة، عاريةً تمامًا. تتأملُ جسدها وترى جمالها وقبح هذا العالم. تتذكرُ كلمات المخرج لها: "أنتِ المسيح"، تتعرقُ، تتغنجُ، تتأوهُ.

تعـرجُ إلى ذروةِ نشـوتها. يـصرخُ المخـرج "Stop" فـلا تتوقـف. هـل سـمعت المخـرج؟ تكمـلُ التمثيـل. تتأمـلُ موتهـا هـي عـلى الصليـب. تقـولُ للنـاسِ: "أنـا هـي نـورُ العالـم"، يـأتي إليهـا سـمعان ويقـول لهـا: "دعيـني أحمـلُ عنـكِ الصليـبَ"، فترفـضُ. الصليب لهـا؛ لأن الحيـاة الأبديـة لهـا. تسـمعُ المخـرجُ يـصرخ مـرة أخـرى "Stop"، فـلا تتوقـف. هـل سـمعت المخـرج؟ هـي فتـاة غـير مهذبـة لا تسـمع الـكلام. مـاذا يقـول المخـرج؟ يقـفُ أمامهـا مبـاشرةً. هـي لا تـراه. يصفـقُ بحـرارة ويصيـح غاضبًـا في ذات الوقـت. وهـي لـن تتوقـفَ حـتى تكتمـلَ متعتهـا. لمـاذا يتعـب الرجـال مبكـرًا؟ بعـد قليـل، يعـودُ إليهـا إدراكهـا وتنظـرُ حولهـا. تتأمـلُ الـ Studio، الكامـيرا والمعـدات. تهـدأ.. تفكـر. هـل أتقنـت الـدور؟ تطمـئن لأن بالمسـامير لا تـزال مغروسـة في جسـدِها.

إنجيل يهوذا

ليسَ للعاهراتِ الحق في أن يعشقن، أعرفُ هذا جيدًا؛ لأنني عاهرة. أُدعَى مريم. أحبُّ الوقوفَ عاريةً أمام مرآتي، أتأملُ جسدي الشهي الهائج المشتعلَ بالشهوة، وأظمأُ إلى فراشِي المبتلِّ بالعرقِ. أعيشُ في بيت دعارة صغير بالقربِ من كنيسة جميلة، قد يخلو البيتُ من الزبائنِ، لكن جسدي لا يخلو من الشهوةِ، فألجأُ أحيانًا إلى مضاجعةِ بعض الشياطينِ، أذكرُ عدد الذين ضاجعوني جميعًا، كانوا خمسين إنسيًّا وسبعة شياطين.

العاهراتُ يحملن وشمَ النبوة فوق نهدِهن الأيمنِ، لهذا يحج إلينا المتعبون للصلاةِ بأجسادِنَا كل مساءٍ. لم أقابلْ من يقدرُ على الكفرِ بجسدي، هو كتابي السماوي المدهش ومعجزتي الإلهية. حين أزورُ السوقَ أرى الجميع يراقبونني بأعينِهم، ويرجمونني بالنظراتِ. لم أقابلْ من يملكُ سلطانًا ليقول: "من كان منكم بلا خطيَّة فليقرأها مرة أخرى"، ترى ماذا يكون رد فعلهم لو قرأوا الصلوات السرية المكتوبة على جسدي! حينها فقط سيكفرون بي ويكفّرون الجميع.

كانوا يجلسون في الهيكلِ عندمَا تفلَ المسيح على الأرضِ

وصنعَ من التفلِ طينًا وطلى بالطينِ عين الأعمى فأبصرَ، فأمره بالذهابِ للاغتسال في بركةِ سلوم. سأل يوحنا: "يا معلم كيف نبصرُ؟"، فأجاب المسيحُ: "آمِنوا بالنورِ حتى تصيروا أبناء النورِ"، سألَ يوحنا سؤالًا آخر، قال: "ولمن الخطيَّة يا معلم؟"، فسكتَ المسيح قليلًا ثم قال: "لو كنتم عميانًا كانت لكم الخطيَّة، ولو كنت تبصرون فخطيئتكم باقية".

للعاهراتِ الحق في أن يعشقن، أنا أعرفُ هذا جيدًا؛ لأني لا أدينُ أرواح القديسين. أدعى مصطفى، لأني اصطفيتُ نفسي على البشر. قابلتُ القديسة مريم في غرفتها، جئتُ لقضاءِ ليلة عادية كأي زبون عادي، لكنها سجدت عند قدمي حين رأتني وقالتْ: "أنتَ، حررني من سجني أرجوكَ!" أرتني بعض صلواتِها السرية المكتوبة بالحناء فوق جسدِها المدهش، وأرتني أيضًا أسرارها الأنثوية. ثم قبَّلتني وقالت: "بقُبلتك تطرد الشياطين السَّبع من جسدي"، وبعدها توحَّدنا معًا في الملكوتِ، فقررتُ تحريرها من قيود كل الشياطين.

عندمَا عُدت إلى بيتي كنتُ حائرًا، أبحثُ عن حيلة تحرِّرها من غير دم. لكن لم يكن هناك طريقة للوقوف ضد الجميع سوى الحرب. عليَّ أن أحملَ سيفي أو أخسر. أخبرتُ والدي الشيخ بما أريدُ، قلتُ: "أريد الزواج من فتاةٍ تُدعى مريم"، قال : "نِعم الاسم هو، تقرُّبًا للعذراءِ"،

قلت: "لا، هي أقربُ للمجدليةِ". فنظرَ إليَّ بغضبٍ وطردني من البيتِ. ذهبتُ إلى صديقيَّ في المقهى، وحكيت لهما ما حدث. سألني الأولُ: "لماذا رفضَ والدك؟"، فأجبتُ: "لأن أبي شيخٌ!"، قال الثاني: "إذًا تزوجها سرًّا"، فأجبتُ: "شرطُ الزواجِ الإشهار!"، تعجب الاثنان وسألا: "فماذا أنت فاعل؟"، فكرت قليلًا ثم قلت: "سأتحدى الجميعَ!"

اجتمعَ رؤساء الكهنةِ والكتبةِ وشيوخ الشعب بدار "قيافا"، رئيس الكهنةِ وقالوا بغضب: "يسوع يُحيي الموتى!" سألهم قيافا أن يهدأوا حتى يفهمَ ما يقولون، فقال أحدهم: "إلعازر عاد إلى الحياةِ"، قال يسوع: "لأجلِ مجد الله يعود"، فماذا عن مجدنا نحن؟ غضبَ قيافا وقال: "ليس على الموتى أن يعودوا للحياةِ"، وقرروا أن يصلبوا المسيح في هذه اللحظة.

الجميع يعرفون جيدًا أن مريم عاهرة، لو أخبرتهم أنها قديسة لن يصدقوا. أتعجبُ كيف لا يرون هالة النورِ فوق رأسها! شعرها الأسود المجدول يهديني إلى الحقيقةِ، كل ضفيرة منها هي الطريق، فلماذا يريدون رجمها وصلبي؟ بالأمسِ، لم نكن نعرف بوجود أيّ مكيدة، دخلنا إلى شقتنا الجديدة، وعندمَا أشعلنا الضوءَ، فوجئنا بوجودِ جميع أهل الحي فيها. طردونا، وطاردونا، ألقوا بحاجاتنا كلها من النافذةِ في الشارعِ، شدوا شعر مريم الجميلة، قطعوا قميصي، حاولتُ الدفاعَ عنها، وجدتها تبكي، وجدتُني أبكي،

كان الجميع من حولنا مجانين. جرينا في طرقات الحي، فلم يتركونا، ضربني أحدهم بعصا غليظة على مؤخرة رأسي، ومزق أحدهم فستانها حتى بدا نهداها. تركونا أخيرًا للأطفال كي يرجمونا بالحجارةِ حتى وصلنا إلى نهايةِ الشارع. ركبنا تاكسي، فسألنا السائقُ: "إلى أين؟" قلنا: "إلى أي مكان، لا يوجد هاهنا مكان يتَّسع لنا، فقد تساوت الأمكنة". كانت مملكتنا بعيدة جدًّا عن هذا العالم.

جلسنا أسفل شجرة تفاحٍ، نامت هي على حجري، واستندت بظهري على جذعِ الشجرة، مررت يدي بين خصلاتِ شعرها شاردًا، شعرت بالجوعِ، قطفتُ لنا تفاحة من الشجرة المباركةِ، تساءلت ماذا سيحدث لو أكل البشر جميعًا من شجرة آدم؟ أجبتُ: ربما أدركوا الحقيقة كلها. فكرتُ في حقيقة صاحبي الخائن الذي أخبرهم بنصف الماضي، وتساءلت مَن يكون منهما يا ترى؟!

احتضنَ المسيحُ الصليبَ وسار إلى جبلِ جلجثة، مدمى الجسد، ضعيفًا وخائفًا. سقطَ على الأرضِ كثيرًا، وكثيرًا لم يستطع النهوض. فجاءوا برجلٍ يُدعى سمعان، كان عائدًا من الحقلِ وسخَّروه لمساعدته في حملِ الصليبِ. همس الرجلُ: "ماذا فعلتَ كي تستحقَّ الصلبَ؟"، فأجاب المسيحُ: "أحببتُ امرأة!" فأومأ سمعان وقال بحزن "ومن ذا الذي وضعك على الصليب؟"، لم يرد المسيح. ظل صامتًا ثم ابتسم للأبدِ.

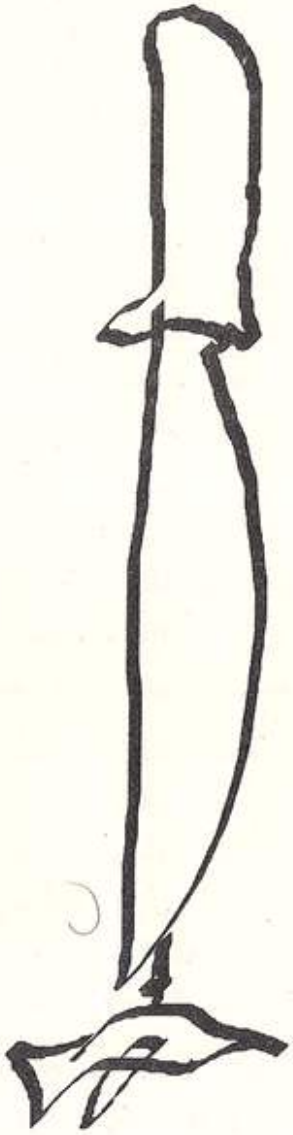

الحياة خارج التلفاز

هل قَتَلَتْ أم عماد امرأةَ الطابق الأول؟ الجيران يتساءلون، الجارة السَّمجة التي تزورُنا أخيرًا تقولُ: "قتلتها". وتُقسمُ بالقرآن على هذا، وجارنا القعيد في الكرسي المتحرك يقول: "أم عماد لا تفعلها". أما أنا فلا أقسم ولا أجزم بشيء. أعرفُ المرأتين جيدًا والعداوةَ التي بينهما. أم عماد المرأة السمينة التي تفوحُ منها رائحة الدهن، وجهُها مليء بالدمامل والقيح، قبيحةٌ جدًّا بالطبعِ، لكن هل بالقدرِ الذي يدفعُها للقتلِ؟ وأم رباب، التي تسكنُ الطابقَ الأول، امرأة بيضاء وشاحبةٌ وتفوح منها رائحة الثوم، هل تستسلمُ للموتِ بهذه السهولة؟

يومَها، رأيتُ أم عماد وهي تنزلُ الدرجَ، جسدها يرتجُّ، تمسكُ بسكينٍ حاد وتقسمُ على قتلها. امرأة الطابق الأول تجري أمامها مثل فرخة مذعورة حتى تسقطَ أرضًا. أم عماد تضعُ السكين على رقبتِها وتبتسمُ بجنون. تقول: "يا مرة قحبة"! بعدها ماذا حدث؟ هل قتلتها؟ الجيران يتساءلون، كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد؟

العداوة بدأتْ على يد عاطف، وأقولُ "يد" تأدُّبًا ليس أكثر. يومَها شرب عاطف زجاجة نبيذ أحمر مع ثلاث

سجائر حشيش وبرشامة "ترامادول" فخرّبَ الدنيا، وقررَ أن يخلعَ الملابس التي يرتديها، بما فيها الكلوت الأبيض القذر المتسخ، صارَ عاريًا تمامًا وليس كالطفلِ البريء. مؤخرة عاطف ليست جميلة على الإطلاقِ، هي عبارة عن غابة من الشَّعرِ العفن والحشرات. بهذه المؤخرة صعدَ أمامي، وهو يغني: "أنا نازلة أدَّلع أملا القُلل"، ويضرط مع اللحن في تناغمٍ وإتقان، حتى وصلَ إلى شقة أم عماد فطرقَ بابها ونام في فراشها.

عندما طلعَ النهار لم تجد أم رباب زوجها في السرير، فنادت على الواد "فيشة"، الذي انتهزَ الفرصةَ وضاجعها مرتين، مرة من الأمامِ ومرة من الخلفِ، حتى سقط الاثنان مُتعَبين ومُعرَّقين وفاحت منهما رائحة الثوم المقلي. بعدها أخبرها بما يقولُ الناس، "زوجكِ فوق مع أم عماد، يخونُكِ مع المرأة السمينة ذات الدمامل والقيح". إخس. صُدِمَت المرأةُ حين سمعتْ هذا، وضربتْ صدرها العاري بيدها وقالت: "حسبي الله". صعدت الدرجَ، وفي يدها أكياس سوداء مملوءة. طرقت الباب، وفي نيتِها الانتقام. وما إن فتحت أم عماد الباب حتى ألقتْ بالقمامةِ في وجهها، وفي بيتِها، وشتمتها وضربتها، وشدَّتها من شعرها، وفرَّجت عليها الناس، صاحت: "المرة الشرموطة نائمة مع رجلي"، وبعدها شدَّت زوجها العريان من يدِه، وأقولُ "يده" تأدُّبًا ليس أكثر، ونزلا الدرج، لا، لم يدخلا

شقتهما، ولكن وقفت أم رباب في مدخل العمارة حتى تقص على الذاهب والعائد كل ما جرى، وتفضحَ أم عماد أمام الخلقِ والخالق.

هل هدأتِ الأمور عند هذا الحد؟ هدأت لمدةِ أسبوع واحد فقط، وبعدها نزلت أم عماد الدرجَ، وفي يدِها كيس أسود مملوء، بالماء؟ لا بل بالدمِ. وقفتْ أمام شقة أم رباب كاللصِّ ثم ألقت بما في الكيس على البابِ والسجادة المفروشة أمام الشقة وعلى الجدران. وأنا رأيتُ الأطفال يلمسون الدمَ بأصبعهم، والأدهى يتذوقون الدم! لم أكن غبيًّا حتى أجهل ما هذا الدم الداكن، لكن الأطفال سُذَّج لا يعرفون. أم عماد نجحت في الانتقامِ من عدوَّتها شرَّ انتقام، فلماذا قتلتها إذًا؟ وهل قتلتها فعلًا كما يُقال؟

في صباحِ اليوم التالي، صعدت أم رباب الدرجَ، ومعها زوجها، وتربَّصا أسفل سور الدرج، مترصدين خروج أم عماد من شقتها، وفي اللحظة المناسبة انقضَّا عليها، مزَّقا ملابسها، فبدا جسدُها المترهِّل، وألقيا عليها دلوًا ممتلئًا بالوحلِ، ثم ألقيا مفتاح شقتها في الشارعِ، وتركاها لقمة سائغة لأعين المراهقين.

هل قتلت أم عماد امرأة الطابق الأول؟ أنا لا أعرف. أقصدُ أنني رأيتُها بالطبعِ وهي تنزلُ الدرجِ، جسدُها يرتجُّ، وتمسكُ بالسِّكين، وتقسمُ على قتلها. وكنت أنزلُ وراءها بأنفٍ مسدود بمشبكٍ وفأس على كتفي. ورأيتُ

أيضًا أم رباب وهي تجري أمامها مذعورة حتى سقطتْ أرضًا، تستغيثُ بزوجها فيلتصق بالجدارِ. أم عماد تمسكُ بها وتضعُ السكين على رقبتها، لكن هل قتلتها؟ لا أعرف ولا أبالي، كان همي الشاغل في تلك اللحظة هو مغادرة العمارة.

في الحديقةِ المقابلة للعمارة أقفُ وسط كل هذا الطين. أتنفسُ الهواء النقي وأتأملُ العصافير. أرفعُ الفأسَ للأعلى عند الشمسِ وأضربُ الأرضِ. السماء فوقي صافية زرقاء ومليئة بالطيور، وأنا أضربُ الأرضَ. العصافير من حولي تزقزق، وقطرات العرق على وجهي تسيلُ، تقبلُ الطين، وأنا أضربُ الأرضَ. أصْفِرُ لحنًا عذبًا قديمًا، وأضربُ الأرض. تتسعُ الحفرة بما يليق بها، فأخرجها، بحرصٍ شديد من "قصرية الزرع"، وأغرسها. هي وردتي الزرقاء النضرة، والوحيدة، وسط كل هذا الطين.

مؤخرة بيضاء

مرحبًا. أنا رجلٌ عاجزٌ جنسيًّا. أقصدُ أن قضيبي طويل جدًّا، وكنتُ أضاجعُ المرأة الواحدة في ساعةٍ كاملة. أعتذرُ لكِ يا سيدتي، أنا ذو لسان طويل، فلا تستمعي إلى قِصتي إن كنتِ من النساءِ اللاتي يخجلن أكثر من اللازم. أما إذا كنتِ "لَبْوَة" حرة وشجاعة فلا تشعلي سيجارتكِ، رجاءً، ولكن أنْصِتي لي.. أنصتي لي.

ضاجعتُ العديدَ من النساءِ في مراهقتي. بدأت مغامراتي بالأرملة التي كانت تسكن قبالتنا. كان شاربي الأصفر قد بدأ يخضرّ، وقامتي تطول، وعيناي تمتلئان بالرجولةِ. رائحة كانت مليئة بالشهوةِ؛ حتى إن نساء حارتنا كنَّ يشمُمنني من بُعد عدة أزقة ونواصي. وتلك الأرملة كانت قد اعتادت على تقبيلي، تقولُ لأمي "جميلٌ جدًّا حمادة"، وتقبّلني، وتضحك أمي. لكنها لمّا عرفت بما حدث بيننا بعدها لم تضحكْ. حتى حين قالت الأرملة المسكينة على مسمعِ الجميعِ وهي عارية: "جميل جدًّا حمادة، وفحل"!

يومها.. كنتُ أصعدُ الدرجَ المتهالك عندما فتحت الباب فجأة، مثل الأفلام، وجذبتني من ياقة قميصي. سألتُها في الداخلِ "ماذا تريدين؟"، وكنتُ أعرف الإجابة

جيدًا من نظراتِ عينيها. قالت لي وهي تشيرُ إلى فرجها: "ثمة وجع هنا". ثم هجمت على شفتيَّ بالقُبَل. لم أتخيلْ أنني سأسقطُ سريعًا هكذا. كانت أول امرأة تلمسُ جسدي. شفتاها حين لامست شفتيَّ أشعرتني بالبردِ وخارت قواي، وحده قضيبي ظل قويًا. وظلت هي تتأرجحُ فوقي كـ "اللَّبْوَة"، وكنتُ أزأر كالأسدِ. لكن عدا ذلك، لم أشعر بجسدي، كأن النمل تسلَّقني، حتى استنزفت اللعينة آخر قطرة من عرقي، ومن منيِّي، في تلك الليلة.

لم تكن هذه الليلة هي الأخيرة، كانت البداية فقط. ظلت تلك "اللبوة" تراقبني، وتنتظرني. كلما صعدتُ الدرجَ أو نزلتُ، تصطادني وتشدُّني إلى الداخلِ. وفي الحقيقةِ، كنتُ أصعد وأنزلُ خصيصا من أجلِها. أتحججُ قائلًا لأمي: "سأشتري بعض الأشياءِ، بعض الكتب، بعض الأقلام، بعض الكراسات"، فقط، من أجلِ أن تمسكني يداها وتشدني إلى الداخلِ.

علَّمتني أشياء كثيرة تلك الشرسة، وهناك أشياء أخرى تعلَّمتُها وحدي، فأنا أسدٌ بالغريزة. لم يعد جسدي يخور حين تقبِّلني، بل أهجم عليها حينما تهجم عليّ، فأفترسُها، تسقطُ أرضًا أو على الفراشِ. أتحسسُ جسدَها الممتلئ، نهديها ومؤخرتها السَّمينة. ألعقُ جسدها كاملًا وأقبلُها. فتصرخُ وتقولُ: "ضاجعني"، فأضاجعُها وأزأر.. وتصرخُ وأزأر.. وتصرخُ وأزأر.. وأزأر كثيرًا.. وتصرخُ كثيرًا.

لا أعرفُ يقينًا، هل سمع الناسُ صرخاتها أم شاهدني أحدهم! سمعتُ طرقاتهم العنيفة على البابِ. أحدهم يصرخُ: "اكسروه". أنهضُ من فوقها خائفًا وأبحثُ عن ملابسي، فتفتحُ هي البابَ عارية وتسبُّ لهم الدين وتقولُ: "جميل حمادة وفحلٌ!"، وتغلقُ البابَ وتعودُ إليّ، فأضاجعُها، بينما يظل الناسُ متسمِّرين بالخارجِ.

طردت الحارةُ تلك الأرملة بالطبعِ. مزقوا ملابسها كي يروا جسدها الرائع الممتلئ، وضربوها بقسوةٍ حتى ينتقموا منها، لأنها اختارتني أنا من بين الرجالِ. ألقوا بحاجاتِ منزلها من النافذة والشرفة حتى يأخذوها إلى منازلهم. ورأيتها تجري في شوارعِ الحارة بعيدًا، مذعورة مثل قطة ضالة صغيرة. ضربتني أمي أيضًا أمام الجميع ومزقت ملابسي، فبدا شعر صدري الغزير كغاباتٍ من الشهوة. فتحت الفتيات أفواههنَّ وسمعتُ شهقتهنَّ، ورأيت تلك اللمعة في أعينهنَّ. أعرفُ تلك اللمعة، وأعرفُ ذلك الجوع، هناك الكثير من اللَّبْواتِ الأخريات الجائعات الوحيدات في حارتنا.

صارت الفتيات يطلبن مضاجعتي بالاسمِ. تقول كل فتاةٍ للأخرى: "أريدُ مضاجعة حمادة"، فتأتي بها إليَّ. في البدءِ كنت أفعلُ هذا دون مقابل، لكن بعدها، رفعتُ سعري في الحارةِ. إما أن تشتري لي الفتاة شيئًا أو تدفع ثمني أو أتركُها لجوعِها، وما أدراكِ ما جوع الجسد! صارت النقود معي كثيرة، ومن هنا بدأت معاناتي.

السيجارة الأولى تفسدُ كل شيءٍ، وأنا رجلٌ، مثل أي أحمق آخر، أحببتُ التدخين. أحببتُ الفرجةَ على دوائرِ الدخان وهي ترقصُ في الظلامِ وتعرجُ للسَّماءِ. أحببتُ لونها الرمادي الخالي من أي شيءٍ، وأحببتُ رائحة التبغ العالقة دومًا في قميصي وأطراف أصابعي. كان لها رائحة الفول السوداني. وكنتُ أظن أنني أبدو مثل أبطال السينما، حين أدخنُ سيجارةً عند الجدار، هناك، بفانلتي البيضاء المخطَّطة بالأسود وجسدي القوي. ولم أعرفْ أن كل المصائب التي ستأتيني فيما بعد، سببها سيجارة. سيجارةٌ لها جسد رشيق ومؤخرة بيضاء اللون هي سبب كل شيء.

تغيَّر مذاقُ فمي. أعرفُ، هذا أمر عادي. كل المدخنين لهم رائحة مميزة، لكن رائحة فمي لم تعُد تُطاق. كنتُ أقبِّلُ الفتاة فتتقيَّأ في فمي وتسبُّ لي الدين! تقولُ: "أكره أكاذيب هذه الحارة الغبية"، وتحكي لي، وهي عارية، عن محسن. ذلك المراهق الجديد الذي يسكنُ في نهاية الشارع. وليس هناك أخزى من امرأة عارية تحكي أمام رجل عار عن رجل آخر! طردتني الفتاة من بيتها وحكت لجميع الفتيات عن السرّ. لم تصدقها فتاة بالطبعِ، لكنهنَّ أردن التحقُّق من الأمرِ. وعندما قبَّلتني تلك الأخرى في بئرِ السلم، وتقيَّأت هي الأخرى. فآمنت مثل الجميع.

سألتُ أصدقائي المدخنين عن الأمرِ. شممتُ رائحتهم واحدًا واحدًا فوجدتها عادية، كريهة، لكن ليست ذات

خطر شديد، وعندما شموا رائحة فمي، سبّوا الدين لي، ونصحوني جميعًا في صوتِ رجل واحد كإعلان لزج في التلفازِ: "اغسل أسنانك يا ريس". قالوها وابتسموا فظهرت صفوف أسنانهم البيضاء والناصعة. عندما عدتُ إلى المنزلِ غسلتُ أسناني وصعدت إلى جارتي السمينة التي تسكنُ الطابقَ الرابع. كان زوجها نائمًا على الكنبة المقابلة للبابِ عندما قلتُ لها: "هاتي بوسة يا مرة"، فقبلتي، ولم تكن قد سمعت بعدُ عمَّا يُقال، ووجدتها -هي أيضًا- تسب الدين لي، فأيقنتُ أنني ضحية مؤامرة كبرى في هذه الحارة، بطلُها محسن.

"محسن. تعال. أنا تعبانة جدًّا".

عندما شاهدت هذا الفيديو على موبايل صديقي، قررت الذهابَ إلى طبيب الأسنان. لن أسمحَ لهذا الشخص أن يسرقَ الفتيات مني. وعند طبيب الأسنان فوجئت أن أسناني بحالة جيدة. قال الطبيب، إن المشكلة ليست من الفم ولكن المعدة. وعند طبيب الباطنة أُمرت أن أفتحَ فمي عن آخره، وأقول: "آه"، فقلتُها: "آآه"، وشعرتُ أنني مثل امرأة وصلت إلى ذروتها.

قال الطبيب إنني مريضٌ بما يُعرف بارتجاع المَرِّيء. وظل يشرحُ أشياء كثيرة غامضة عن حموضة زائدة في المعدة، اتساع فتحة المريء، وارتخاء عضلة المريء، وتهييج جدار المعدة بفعل الدخان. سألتُ بعصبية

عن الحلّ، فقال: "علينا معادلة حموضة المعدة الزائدة بالأدوية وتغيير النظام الغذائي بآخر صحي". فلم أفهمْ. قلتُ: "أريد علاجًا جذريًّا"، فقال ببرودٍ طبي: "لا يوجد علاج جذري لأي المرض". ثم ابتسم.

بعدها صرتُ أهربُ من الفتياتِ.. ربحَ محسن!

واليوم.. اسمعي. أيتها السيدة الجميلة التي تنصتُ إليَّ، صدقيني، لم أرَ امرأة بجمالِكِ، أنتِ من الطبقة العليا. أستطيعُ أن أتخيلَ قلادة الماس التي خلعتيها قبل أن تأتي إليَّ. أراكِ تعمدتِ أن تأتي إليَّ بملابس عادية، ولكن بالرغمِ من هذا تفضحك رائحتك الطيبة. أرى جسدكِ العاري ونهديك الممتلئين الطريين، أرى مؤخرتكِ المدللة تشتاقُ لصفعةٍ أو صفعتين. رأيتك تتركين سيارتكِ السوداء الفارهة خارج حارتنا الضيقة. وأعرفُ جيدًا أنكِ أتيتِ إليَّ بسبب سُمعتي التي ملأت الحارة وشوارع القاهرة. أرجوكِ.. أرجوكِ أطفئي هذه السيجارة اللعينة. انظري إليَّ، قضيبي نائم وحزين، لا يريد النهوض ولا يتحدث إليَّ. انظري.. أنا رجلٌ عاجزٌ جنسيًّا والسبب سيجارة. والسجائر يمكنها حقًّا أن تطفئ قدَّاحة الرجل، لكن بطرق غريبة، ومضحكة، مثلها مثل الحياة.

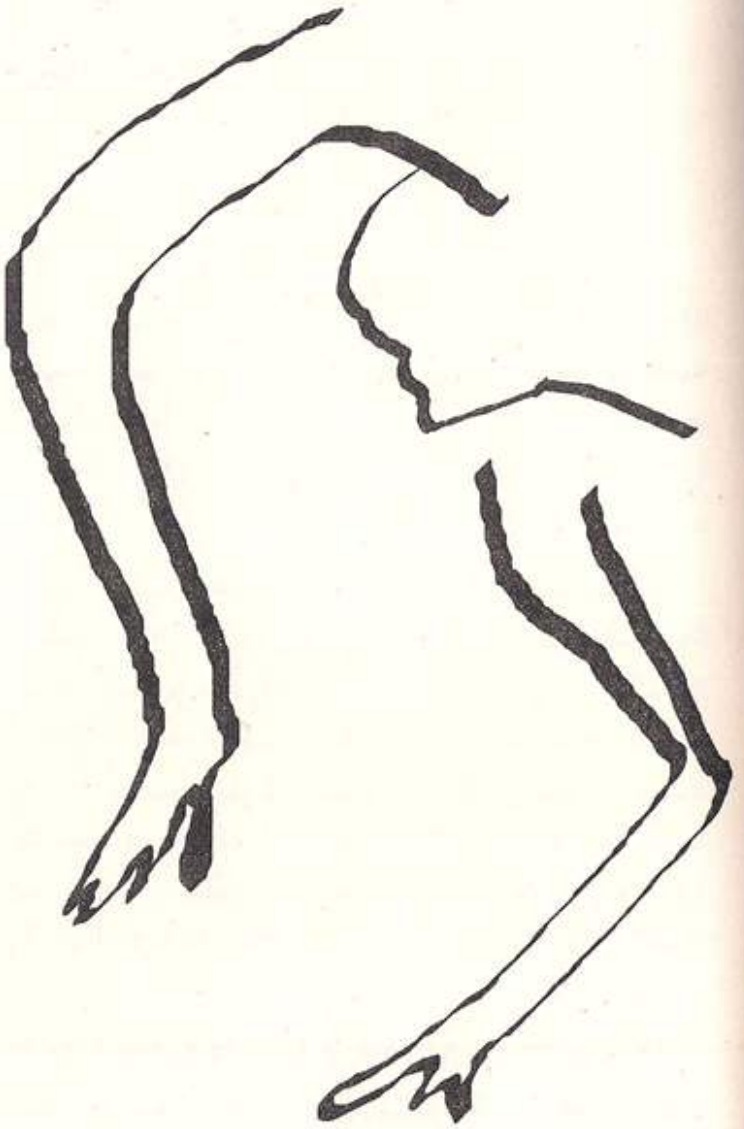

صلاة أخيرة

عندما كنتُ أراها تبكي بخشوع، وهي تصلِّي، أرى الكعبةَ الشريفة وأشم نسيمها. "يا ربنا احفظْ لي أمي الطاهرة الجميلة". لم أرها وهي تُعِدُّ الشموع الحمراءَ لعشيقها. لكن الشيطان رآها ووسوَس لي: "أمك عاهرة". أيها الشيطان الأحمق ماذا تقول؟ زارت أمي الكعبة خمس عشرة مرة. فمن أنت؟ وماذا تكون؟

لا أذكرُ بالتحديدِ، متى بدأت هذه الوساوس. كنتُ أحاولُ تجاهلها وإكمال قراءة الفردوس المفقود. لوسيفر المسكين كان يحاربُ الرب من أجل ديموقراطية وعالم أفضل. رثاه دنقل في قصيدة مشهورة وقال: "المجدُ للشَّيطانِ معبود الرِّياح". ميلتون قال أيضًا إن لوسيفر فارس أسطوري، وكتبَ الحقيقةَ، كما وسوَس بها لوسيفر. وفي المقابلِ.. كانت الكتب السماوية تزيِّفها بالعديدِ من الحقائق الأخرى. من قالَ الحقيقة كاملة يا ترى، الرب أم الشيطان!

ليس هنالك مجال للشك في أمي، أتأملُها وهي تصلي فأنفضُ الفكرة تمامًا عن رأسي. هل تفعل أنت وتشكُّ في أمك؟ هل يعقل أن تنصتَ إلى شيطان رجيم؟ في النهايةِ

فعلتُ، وبعد سيجارتيْ حشيش، قررتُ مراقبتها. ليس هناك من مشكلة كبيرة، فقط سأراقبها، سأدَّعي السفر وأخبرها أنني سأغيب في القاهرة عدة أيام. ستقول: "القاهرة مدينة ملعونة فاحذر الزحام". وسأقول: "لا تخشي عليَّ يا أمي من الطريق". أعرفُ طريقي جيدًا، سأخدعُها. الشيطان الرجيم خطط معي كل شيءٍ. سأنتظرُ حتى تنتهي من صلاة العشاء وأخبرها بالسفرِ. لماذا أفعل كل هذا؟ هل جننتُ؟ أضحكُ وألف لي سيجارة حشيش أخرى.

هناك أشياء كثيرة لاحظتها أخيرًا ودفعتني للشك فيها. على سبيل المثال، أمي لا تصلي بانتظامٍ. تنقطعُ عن الصلاةِ كثيرًا كل حين، وحين أسألها عن السبب تكذبُ عليَّ. تقول: "أشعرُ بصداعٍ" - "أشعرُ بمغصٍ". عندما أخبرتُ الشيطان بهذا أخبرني أن أمي لا تزال صغيرة. لم أفهمْ. قال: "هي امرأة كاملة". الشيطان الأحمق يغازلُ أمي دون خجل. الشيطان شتمني وقال: "أقصدُ الدورة الشهرية أيها الغبي"، ثم اقتربَ من أذني وهمس: "لكنها لا تزال عاهرة".

هناك أشياء كثيرة لاحظتها أخيرًا دفعتني للشك فيها. على سبيل المثال، كانت تبكي كثيرًا في السجودِ وأنا أعرف هذا البكاء جيدًا. لم أبكِ هكذا سوى حين ضاجعتُ ابنة الجيران. هجمتُ عليها كأي ذئب بري، وأطاعتني هي، كفريسةٍ سهلةٍ. وعندما عدتُ إلى المنزلِ وانطفأ جوعي، توضأتُ وصليتُ وبكيتُ كثيرًا في السجودِ. بهذه الحرقة

أمي تبكي أيضًا، تقول: "سامحني واسترني يا ستار". عندما أخبرتُ الشيطان بهذا ضحك، وقال: "إن السماء تمطر عظامًا حقًّا وليس فئرانًا. صدق جبران العظيم" ثم اقترب، وقال: "فكِّر. أنت تفكر إذًا أنتَ موجود".

في الحقيقةِ كان السبب القوي الذي يدفعني للشك في أمي هو لوسيفر. كنتُ أقرأ الفردوس المفقود وأقول: "لماذا أراد الرب أن يورثَ الكرسي للمسيح؟" لماذا اختار المسيح من دون كل الملائكة؟ ثلثا الملائكة وقفوا مع الشيطانِ وثاروا ضدَّ الرَّب، فأين يكون الحق؟ الحق دومًا مع الثوار. لن أبالي إن كان الحاكم ملكًا أم إلهًا. الثوار هم الحق المطلق. لوسيفر كان يريد ديموقراطية حقيقة. لوسيفر حين زارني في غرفةِ نومي وقال: "أمك عاهرة"، كان يخبرني بهذا بعد أن رآها، ولكنه قال أيضًا: "جد سببًا للشك فيها". لم يكن يريد سببًا وهميًّا. كان ينقدُ أسبابي، الواحد تلو الآخر، من أجل سبب واحد قوي. كانت حكمة الشيطان هي أفضل سبب للشك في أمي.. أمي الطاهرة الجميلة.

وقفَ الشيطان معي في الظلامِ والسماء تمطرنا. كان يرتدي معطفًا أسود وبذلة smoking ويدخنُ سيجارة ميرت. قال: "سيأتي هذا الرجل بعد منتصفِ الليل"، قلتُ: "سنرى"، ثم صمتنا قليلًا، وبعدها قلتُ: "أخبرني. أين هما قرناك؟ ولماذا ترتدي معطفًا أسود لا أحمر؟". ضحك قليلًا ثم قال: "قلتُ السر إلى توفيق الحكيم ذات مرة. ألم

بازل

"(1) الفأس. المنبر. الرؤيا"، ثلاث كلمات كانت تدورُ في رأسي، وعبثًا حاولتُ أن أطردُها. "الفأس. المنبر. الرؤيا".

****

"هات فأسك وهيا بنا، سنكسرُ سور الجامع معًا".

قالها صاحبي، ولم أعرف هل أنا أحلم أم أن المجنون بالفعل يقفُ أمامي، بعد منتصفِ الليلِ، وقد عزمَ على تحطيم سور الجامع؟ ربما شربَ الكثير من الخمرِ، ما هذا الغباء؟ هو لا يشربُ الخمرَ أصلًا. لم أكن قد استيقظتُ بعدُ، حتى أدركَ الخط الرفيع الفاصل بين الواقع والحلم. دلفتُ للداخلِ، أحضرتُ فأسي، ضحكتُ بجنون وصحتُ عاليًا "اللعنة علينا، نحن نبدو كالكفارِ، وهذا حلم مضحك جدًّا".

تخفَّينا في الشارعِ المُظلم، كلِصَّين مُخضرَمَين، فشعرتُ بالإثارة وشعرَ صاحبي بالذعرِ. قلتُ في سري: "حلم غريب جدًّا"، أما صاحبي فلم يقل سوى كلمة واحدة: "أسرع"، يقولها كلما مررنا أسفل عمود إنارة أو كلما مرَّ أحد بجوارنا في الظلامِ. ويقولها أيضًا كلما سمعَ صوتًا خافتًا آتيًا من بعيد، مثل: نافذة تغلق، امرأة تتنهد، طفل يبكي، أو

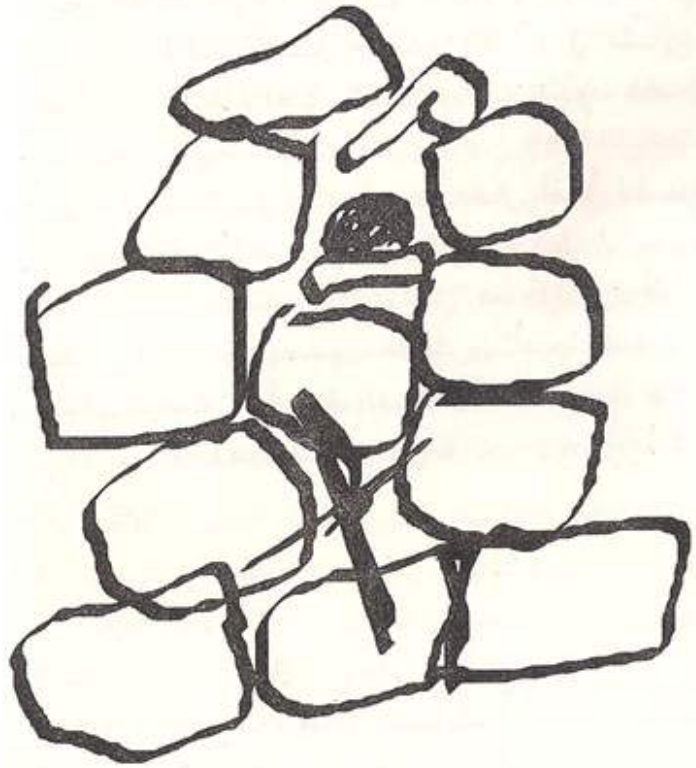

تقرأ تلك القصة؟" لم أكن قد قرأتها لذا سكتُّ، فقال: "أخبرني أنت. لماذا صدقت وسوستي؟" وبخجلٍ شديد أجبتُ: "قررتُ الوثوقَ بك، ولا ضرر من الشك على أيّ حال". ابتسم وربت على كتفي وقال: "هذه شجاعة كبيرة منك". وبعدها صمتنا معًا ووقفنا نتأملُ بنايتنا المظلمة.

هل سيأتي هذا العشيق؟ أنا لا أعرف. لا يوجد أي سبب حقيقي للشك في امرأة مثل أمي؛ لا بُد أنني قد جننتُ، حتمًا فعلتُ، وإدمان الحشيش والبرشام هو السبب. فكرتُ في هذه اللحظة أن أخلع نعلي وأضرب ذلك الشيطان الرجيم. سأنادي إخوتي والجيران وأخبرهم "لا تصدقوا الشيطان أبدًا فهو عدو آدم، نحن أبناء حواء وهو ابن زانية"، لكنني سكت بالطبعِ، وبلعتُ لساني، حين رأيت ذلك الظل الذي يتلفتُ في الظلامِ، كاللص، ويصعدُ بنايتنا.

اشتعلت مصابيح بيتي وتسلل الضوء الأحمر من النافذةِ، صعدتُ الدرجَ بخطواتٍ مُتعَبَة. الشيطان كان يسندني، يقولُ: "مسكين يا ابن آدم"! أصعدُ الدرجة تلو الأخرى وأقول: "اخرس يا ملعون". يقولُ: "أسندك كالعكاز وتشتمني". أقولُ: "أنتَ لستَ حقيقيًا، بيننا وبينك حجاب". يقول: "أنت تفكر، وأنا في دمك". أسقط على الأرضِ تعبًا أمام باب بيتي وأقول نادبًا، "ما العمل يا صاحبي! أخبرني"، يقول لي: "فكر.. فكر تجد حلًّا".

عندما دخلتُ إلى شقتنا وجدت أمي عاريةً تضاجعُ ذلك

الرجل. وما إن رأتني، وهي في حضن ذلك الرجل، مدَّت يدها إلى الكومدينو سريعًا وأمسكت سبحتها. ظلَّت تسبح الله كثيرًا وتتأوه كثيرًا. تقول لي "يا ولدي. أنا كما رأيتني أول مرة. فلا تصدق ما تراه الآن". أسمع الشيطان خلفي يوسوس لي "اقتلها واحمل جسدها العاري في الشارع. اجعلها عبرة وقربانًا للحق.. إلهك". ويتابع بصوت فحيح هامس: "واصرخ في الناس. قل يا ناس. أمي عاهرة يا ناس". أقبضُ على السكين في يدي. أعتصرُ عقلي. أقولُ لنفسي "فكِّر. أنت تفكر إذًا أنت موجود"، لكنني لا أحتمل. يجرح نصل السكين يدي. هل أعري أمي؟ فجأة تطرق فكرة عظيمة في قلبي. أردد بعينين مغمضتين "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، فيحترق الشيطان أمام بصري. يترك على الأرض بعضًا من رمادِه. ينتهي كل شيء ويحل السلام على الأرض.

ضحكات بعض المحششين الآتية من مكان مجهول.

عندما اقتربنا من المسجدِ تحسستُ أنفي فاستيقظتُ وقلتُ مندهشًا "هذا ليس حلمًا". نظرَ إليّ صاحبي وضحكَ وقال: "أيها الأحمق تذكرتُ هذا حين هرشت أنفك!" تذكرتُ الآن. اتفقنا بالأمسِ أن نحطم سور المسجد، ونعلمَ الشيوخ الأدب، ونرقص ونصفق ونغني بأغنياتٍ مبتذلة جدًا.

وأمام المسجدِ، أخذتُ نفسًا عميقًا، ورفعتُ فأسي للأعلى، ولم أخشَ انتقام الله لأنني شعرت بيده تمسكُ بالفأسِ معي.

****

فوق المنبرِ لعننا الشيخُ بجنون. أنا لم أسمع جيدًا ماذا قال، ولم أبالِ. كنت منشغلًا بـ"الهرشِ" في أذني، لكنني انتبهتُ حين شعرتُ بألفةٍ مع الكلمات. كان الشيخ يحكي عن واقعة الأمسِ. في البدايةِ كانت الكلمات المنطوقة مبعثرة، لا رابط بينها، مثل :الله. شيطان رجيم. خمرة. حشيش. لصوص. مقعدين. جهنم. رسول الله. العاهرات. هناك. بيت الله. أرداف. أنبياء. لصوص. زانيات. أبناء. فأس. ملعون. دنس. محرم. بشرى. سكس. أستغفرُ الله العظيم.

لكنني، رويدًا رويدًا، بدأت أشكل من هذه الكلمات

جملًا ذات معنى، من خلالِ الربط بين الجزءِ والكلِ.

"هجم لصان على بيت الله المحرم".

"الشيطان أغواهما يا إخواني".

"لصوص سكارى، خمر وحشيش، لصوص أبناء زواني وعاهرات".

"بيت الله يا كفرة، يا لصوص، أستغفر الله العظيم".

"أستغفر الله العظيم، هما عدوًا الله والأنبياء والدين".

"أبشّر هذين النجسين بمقعدين في جهنم".

لم أعرفْ، هل اقتربتُ مما قال الشيخُ أم لا. أستطيعُ معاودة الكرّة كثيرًا وفي كل مرة سأخرجُ بجملٍ جديدة وتأويلات عديدة. لكنني كنتُ منشغلًا بالهرشِ في أذني، وصاحبي كان مهمومًا مشغولًا بتأمل سور المسجد الذي لم يُهدَم. السور طويل عال ويُخفي وراءَه الشمس، السور لا يزال يبنى من الطوب اللبن ولم يدهن. السور قبيح جدًّا، وهناك، على الأرض، ورود وشجيرات قتلوها أسفل السور، ولم تزبل بعد، ولم يأكلها الهواء والشمس.

وهناك، أشحتُ بصري بعيدًا فرأيت امرأة شحاذة* تجلسُ عند البابِ، تحملُ وليدًا في يدها. الوليد يبكي

---

* للشحاذة ابنة عاهرة، حكى لي جاري السكير قصتها، فأرفقتُها في هامشٍ مع صورها العارية بنهاية النص.

كلها أو للناسِ. الناسُ في القاهرة غريبون، متعجلون، ولا يشمون غير مزيج عفن من روائح العرق والخبز والدخان.

حاولتُ النومَ بعد الفجرِ فلم أستطعْ. وقفتُ في شرفتي أتأمل شروق الشمس من النيلِ حتى أعلاه. أحاولُ نسيان ذلك الكابوس والشيطان اللئيم. كنتُ صغيرًا جدًّا، ساذجًا، وأظلمُ الشيطان كثيرًا، لم أفكرْ أبعد من قدمي على الأرضِ، لأنني كنتُ أخشى الوقوع. اليوم أعرفُ أنها رؤيا، قبيل الفجر رأيتُها، هي رؤيا. سمعتُ الأذان بعدها، هي رؤيا. يومها كان الجمعة المبارك، هي رؤيا. وفي الخطبةِ سمعتُ تأويلها. الإشارات واضحة جدًّا، لكنني يومها كنت طفلًا أحمق لم أرَ شيئًا من لعبة الظل.

****

"(2) الفأس. المنبر. الرؤيا"، ثلاث كلمات كانت تدورُ في رأسي، وعبثًا حاولتُ أن أطردها. "الفأس. المنبر. الرؤيا". أشياء لا رابط لها من دوني أنا / الحكاية. ساعتها تصير كلمات مبعثرة من دون معنى. "الفأس. المنبر. الرؤيا".

****

صاحَ فيَّ صاحبي فجأة قائلًا: "يا مجنون"، وانقضَّ عليَّ، وأسقط الفأس مني. شعرتُ بالفزعِ وعدت للوراء عدة خطوات. عاودني الوهم، لِمَ لا يكون كل شيءٍ حلمًا أو كابوسًا؟ تحسستُ أنفي مرةً أخرى فشممتُ رائحة العالم.

والمرأة تعرضُ حاجتها على الناسِ، وذلها، وعوزها، كما العاهرة حين تعرض جسدها. آه أين أنظر؟ أين أنظر؟ الشيخُ يلعننا فوق المنبرِ، والورد يذبل ويموت عند السور. المرأة تتعرى أمام المصلين، والوليد يبكي من شدة الخزي والجوع.

****

لم أنسَ تلك اللحظة قط. استيقظتُ باكيًا فاحتضنتني أمي وهدأت روعي. أمي فراشةٌ لها رائحة الياسمين وأنا طفل جبان، لكن ما ذنبي؟ رأيتُ الشيطان يعلمني تلاوة القرآن. كابوس جد سخيف! حكيتُ لأمي فضحكت واحتضنتني وهي تقول: "الشيطان سيحترق كالفأرِ إن أمسك بالقرآن"، قلتُ: "كيف؟"، فقالت: "الحق يحرق من خلق من ماءٍ أو نارٍ". صدقتُها فهدأ جزعي لكنني لم أنمْ. سمعتُ أذان الفجر يدوي في السماء، "حيّ على الكفاحِ.. حي على الكفاح.. الحق أكبر". فارتديتُ جلبابي ونزلتُ الشارعَ مع أبي. البرد قارص. أذكرُ لسعة البرد جيدًا. أقول في سري "غطني يا أبي". فيشعر بكلماتي ويلقي العباءة علينا معًا. البرد قارص يا أبي فأمسك بيدي. البرد.. البرد قارص.. البرد.

المسجدُ بجوار النيل، والنيل يومها كان غريبًا وجميلًا، ربما لأنني كنتُ لا أزال في قريتي. النيلُ في القاهرةِ مريضٌ بالربو وسجين الكباري والبنايات. الدخان كثيفٌ جدًّا في السماءِ حتى إنه لا سماء، لا شمس، لا ماء. لا رائحة للأشياءِ

قرصتُ أذني، فصرختُ، أنا حقيقي! ربما يكون صاحبي قد أعاد التفكير وخافَ من عاقبة فِعلتنا. سيُعلِّقُنا الشيوخ على شجرةٍ ويصلبوننا ويسلخون جلودنا. هذا جزاء المفسدين في الأرضِ. تأملتُ صاحبي فرأيتُ أشياء أخرى، منذ متى وهو يملكُ هذه اللحية؟ ولماذا يرتدي جلبابًا قصيرًا؟ في الأمر خدعة! ربما يريدُ أن يتقرب إلى الشيوخ زُلفى من خلال قربان. صرختُ، ربَّاه، أنا هو هذا القربان!

عندما أخبرت صاحبي بما يدور في رأسي، شتمني وقال: "كتابة القصص لسعت عقلك"، وشرد فجأةً، ثم فكَّر، ثم قدَّر، ثم لمعت عيناه، ثم قال: "لكنها فكرة حلوة جدًّا". وشكرني، وبعدها عاد يضحكُ من جديد. كتابة القصص لسعت عقلي بالفعلِ. أعرفُ ماذا سيحدث لكنني أحمق، كثير النسيان. لِلَّحَى فائدة عظيمة اليوم. لا بُد أن أحدًا سيخرجُ حتمًا على صوت الهدم، وسيرانا، لكن اللحى تُخرس الألسنة والعقول. لن يفكر ولن يقول، "ماذا يفعل هذان الأحمقان بسور الجامع؟". سيصمتُ ويدلفُ إلى النوم آمنًا مطمئنًا لأن الشيوخ دومًا يعرفون ما يفعلون. لقد رباها صاحبي منذ أسبوعين. تذكرتُ هذا. وتذكرتُ أيضًا أننا لن نبدأ بتحطيم السور، لأنهم ربما يمسكون بنا فيفسد المعنى. سنبدأ بالكتابة أولًا على السور، لأن الكتابة -ولا شيء سواها- هي الحل. وبعدها سنحطمُ كل الأسوار التي نجدها ما عدا هذا الجزء الصغير، فهو

دليلنا وعقلنا. هنا سنضعُ الفأس ونمسكُ بالفرشاة والقلم حتى يتساءلون في الصباحِ من فعل هذا بسورنا؟ من؟

وتكون الإجابة هي:

المجد للفقراءِ يا أولاد الكلاب.

المجد للفقراءِ

المجد للعقلاء

****

كان الشيخ يلعننا -لا يزال- فوق المنبرِ، بالقرآن وبالدليلِ. والناس كانوا يهزون رؤوسهم موافقين، ويرددون بإيمانٍ "آمين". أما أنا فكنتُ لا أزال أهرشُ في أذني منتظرًا اللحظة التي يخبرهم فيها بالسر، سر الجريمة، إذ لا قيمة للجرائمِ من دون سر. لكن الشيخ لم يخبرهم شيئًا عن الفقراءِ، كما هو متوقَّع، بل والأدهى أنهم حرَّفوا تمامًا ما كتبنا على السورِ من خلالِ حرف واحد وبضع كلمات قليلة. الحرف هو الهاء. أكرهُ هذا الحرف كثيرًا. لم أتخيلْ أن يصبح أقبح الحروف في عيني.

صارت جملتنا الجميلة كالآتي:

المجد للفقهاءِ يا أولاد الكلاب.

يا ليبراليين. يا علمانيين. يا كفرة. يا شواذ. يا أعداء الدين.

****

مرَّ عمرٌ طويل، لكنني لا أزال أذكر جيدًا ما دار بيني وبين أبي بعد الخطبةِ. وعلى النقيضِ، لا أذكر الخطبةَ ذاتها. عنفني أبي لأنني لم أُحسنْ الإنصات. كانت هي المرة الأولى التي يعنفني فيها. ثقُل لساني عندما سألني عن مضمونِ الخطبةِ، لم أعرفْ ماذا أقول. أقولُ الصدقَ. الصدق منجٍّ أعرفُ لكنني خفتُ، هل يصدقني والدي؟

يومها رأيتُ أشياء مدهشة يا أبي، رأيتُ النيلَ وأبو قردان والعصافير والحمام، والحقول الخضراء في الضفة الأخرى، والأطفال وهم يسبحون عراة في المياه. ما المدهش في كل هذه الأشياء؟ كيف أشرحُ لكَ؟ الأشياء غير المدهشة يا أبي والحقيرة والصغيرة تدهشُ أكثر بكثيرٍ من الأمورِ الغريبة، لكن عليك أن تفتحَ عينيك لتراها. سمعتُ يا أبي صوت الكون، في هيئة شيء عابر، في الموج والريح والهديل والزقزقة. سمعت هذه الأشياء ورأيتها تمتزج ببعض في تسبيحة واحدة. كيف أقول لك؟ ستقول جُنَّ ولدي الوحيد. رأيت يا أبي الشمس تدخل من نافذة المسجد، رأيت شعاعًا تلو الآخر، يسقط على كلمة الله فوق منبر الشيخ، فوق رؤوس الناس جميعًا. تتداخل الأصوات كلها في تناغم جميل، كمزمار النبي داوُد. لماذا لم تقل لي يا أبي أن للأنبياء مزاميرهم أيضًا؟ مثلما للكون موسيقى. لكننا لا نسمعها. هس. اسمع يا أبي. هس. توحَّد مثلي مع الكون، وكن شجرة.

وظللتُ أردد مع الكون، وأنا أنظر إلى ضوء الشمس وقد ترك زخارف النافذة الجميلة على الجدار. سمعت الناس يسكرون قائلين "الله.. حي.. الله أكبر.. سبحانك. حي. الله لا حول لنا من دونك". لكنني لم أسمع الخطبة جيدًا، ثقُل لساني، برطمتُ، فشتمتني. الآن أذكرها يا أبي. كانت تحكي قصة أعرابي بال على سور المسجد. هل تعرفها؟ وماذا فعل النبي؟ لم يمانع. وأنا لن أخبرك كي لا تكره رسولك من أجل سور.

****

(3)"الفأس. المنبر. الرؤيا"، ثلاث كلمات كانت تدورُ في رأسي، وعبثًا حاولتُ أن أطردها. "الفأس. المنبر. الرؤيا". أشياء لا رابط لها من دوني أنا / الحكاية. ساعتها تصير كلمات مبعثرة من دون معنى. "الفأس. المنبر. الرؤيا". ثلاث مفردات مجزأة من كلٍّ، لن يدركَ أبعادها سوى من حلَّقَ في السماء عاليًا، "الفأس. المنبر. الرؤيا".

****

الهامش:

هذه القصة أفضل من قصتِكَ، وإن كان عنوانها السيِّء والقبيح قد يوحي بعكس هذا. أطلقتُ عليها اسم "العاهرة". العاهرة اسمها ياسمين، بيضاء وتمتلكُ نهدين كبيرين وجسدًا رائعًا. فتاة ضاجعها الجميع تقريبًا، لأن

جميع رجال شارعنا فحول، ما عدا الشيوخ بالطبعِ، أقصدُ أنهم لن يقربوا عاهرة. أرجو أن تفهمني جيدًا. للفتاة ملامح مريم العذراء وفوق رأسها هالة من نور إلهي، غريب، ومع هذا فهي عاهرة. أمها تعرف عهرها لأن العهر ليس سرًّا بل مهنة، بل إن أمها هي من يقبضُ المال مقدمًا. تلك المرأة العجوز التي تشفقُ عليها حين تراها عند المسجد، كان للشيوخ الحق في منعها من الاقتراب كي لا تدنس الجامع، للجوامعِ حرمتها كما تعرف.

كنتُ مخمورًا عندما وقفتُ أمام العشش الحقيرة الصغيرة، ولم أعرف أيّ عشَّة هي بيتها. فكرتُ بالعودةِ؛ خاصةً عندما تقززت نفسي من الروائح الكريهة. ما الذي يجبرني على مضاجعة فتاة تسكنُ عشة كهذه؟ ربما لا تكون جميلة كما الحكايات، ربما تكون فتاة سوداء من الوسخِ والطين. راقت لي الفكرة أكثر، سأضاجع فتاة متسخة بالطين، كأفلام البورنو. لن أعودَ بيدٍ خاوية على أيّ حال، شقتي فارغة وأنا لم أضاجع فتاة من قبل، وهي فقيرة، لا تملكُ مالًا على الإطلاقِ. خمسون جنيهًا مبلغ كبير بالنسبة لفتاة كهذه، ولأمها الحقيرة التي تتاجر بها، ولأخوتها الصغار الذين أفعل هذا من أجل عيونهم البريئة، فقط، أنا فاعل خير. تحرّكني رحمة السماء إليها.

انتظر. لا تنهض من المقهى فهنا الجزء الأجمل. قُبيل المضاجعة.. هذا عنوان فرعي. أخبرتُك أنني قاص أفضل

منك. اسمع، تخفَّينا في الظلامِ حتى وصلنا إلى شارعنا. خفتُ من الأعين واللحى، فجاءتني تلك الحيلة. تعرفُ أنتَ سور المسجد الطويل، دخلنا من الباب الخلفي وسرنا أسفلَ السور في الظلام وخرجنا من البابِ الآخر. فلم يرنا أحد. فكرة جريئة وذكية، ولم يكن أحد ليشك فينا ونحن بجوار الجامع. بعدها صعدنا شقتنا، وهناك ضاجعتها. لن تصدق. تلك الفتاة العاهرة جميلة حقًّا مثل مريم، لكنها ليست بعذراء. لن تصدقَ. نهداها كبيران حقًّا وطريان كما الحكايات. لن تصدقَ قمتُ بتصويرها بعد الانتهاءِ منها. انظر يا صديقي. انظر ومتّع عينيكَ. لماذا تتقيأ على أريكتي وقدمي وسجادتي أيها الأحمق المقرف؟

مريمة والناي

كان الفتى يرقصُ مع أمواجِ النيل ويصفرُ لحنًا صافيًا عذبًا. يتذكرُ أول مرة اكتشفَ فيها ذلك اللحن السِّحري. أسفل نافذة "مريمة". كان يجلسُ مستندًا على جذعِ شجرة، يستظلُّ بها من عناءِ العملِ بالجنينة، عندما رأى تلك النغمات الصغيرة تتسلل وتقفزُ من نافذة مريمة كي تُمطره بالأمنياتِ المدهشة. متى يتزوج مريمة؟ ينتظرُ ذلك اليوم منذ الصغر. هل يوافق والدها أصلًا؟ يسكت الفتى عن الصفير حين يتذكرُ الشيخ، يخافُ أن يضربه ضربًا مبرحًا بعصاه الغليظة. بأي ذنب؟ بذنب الرقص أو الصفير، أو مجرد التفكير في مريمة، وهناك سبب أهم، وهو التأخر في الإتيان بالطبيبِ. لن يستطيعَ أن يتحدثَ كي يخبرهم أن النيل هو من ناداه للرقصِ، ولن يقدرَ أن يفضحَ سر مريمة والناي، ولماذا ينتظرون الطبيب بالأصلِ؟ القرية كلها تعرفُ عِلَّة مريمة الحقيقية. مريمة.. الفتاة الجميلة التي تحبُّ أن تتدللَ وتتغنج، ابنة الشيخ الشبقة.

مريمة، الجميع يحكون عن مريمة. يقولون إنها شيطانة في جسدٍ ملائكيٍّ، ويشمُّون منها رائحة الفواكه الطازجة. تدعوهم عيناها الكحيلتان بالليلِ إلى اشتهاء عُذريَّتها،

ويرون في شفتيها المُبلَّلتين ماء التائهين في الصحارى. هي إحدى نساء الحور العين، هي الخمر وهي الماء. يقولون إنها تسللت ذات يوم من بيتِ الشيخ، قصدت النيل، كي تسبحَ مع الفتيات على ضوءِ الفجر. وحين خلعت جلبابها ووقفت أمامهنَّ عارية، وجدنَ جميعًا ما لا يُحكَى. مريمة، آه يا مريمة! الجميع يحكون عن مريمة.

تتأوهُ مريمة في فراشِها، تشعرُ بنيران تسكنُ فَرجها. تمدُّ يدها داخل جلبابها المزركش، تغمضُ عينيها، تعضُّ شفتيها، تصرخُ تصرخُ، لكن الألم لا يخفُت بل يزيد. على بابِ غرفة نومها كان الطبيب يقفُ، لا يرى انعكاس صورته في المرآة ولكن يرى فقط مريمة. يقتربُ بخطواتٍ مرتبكةٍ من فراشِها. ينظرُ إلى الشيخِ بخجلٍ، لكن الشيخ يأمره أن يفعلَ ما يريد. يبدأ الطبيب بالكشفِ عليها، يرفعُ جلبابها ويرى بياض جسدها. يشمُّ روائح الفواكه الطازجة، والحكايات القديمة. يمد يده ويتحسَّسُ أسرارها. يسألها بابتسامة خجلة عن مكانِ الألم، فتشير بعينيها إلى أنوثتها. مريمة، الجميع يحكون عن مريمة والطبيب يعرفُ الحكايات. يتابعُ الرحلةَ فيها وفي جسدِها. تسقط قطرات العرق فوق خديها وتنزلق سريعًا في طريقِها نحو الوطن المُشتَهَى.

نهضَ الطبيب عن الفراشِ، سأله الشيخُ في الخارجِ عن علَّتِها بقلق. فابتسمَ الطبيب خجلًا، وقال مطمئنًا: "إنها

فطريات، ليست خطرة، لكنها تجعلها ترغب في الحكِّ باستمرار". كذبَ الطبيب على الشيخِ بمرض وهمي، وكيف يخبره الحقيقة! ما الحقيقة؟ الجميع يعرفون الحقيقة، الجميع يعرفون أن علَّة مريمة الحقيقية هي شدة الشبق.

كان الصبي، لا يزال يتسكعُ في حقولِ القطن. يصفرُ ذلك اللحن مرة أخرى، وينظرُ إلى الشمسِ البعيدة في السماءِ. يفكرُ هل يرضى الشيخ أن يتزوج مريمة؟ سيرفضُ بالقطعِ. بسبب صغر عمره أو ضآلة جسده، وربما يقول مثل أهل القرية: "أنت فتى أهبل"، والبُلهاء لا يتزوجون. لماذا يقولون هذا؟ يستطيع أن يفكرَ مثلهم، وأن يتحدثَ، وإن تلعثمَ كثيرًا. يستطيع أن يرى الشمس مثلهم، والسماء، والنيل، والحقول، والفراشات. لكن هل يستطيعون هم أن يروا ما يراه؟ يرى مريمة في كل مكانٍ، تسيرُ عارية بين حقول القطن، وتسبحُ عارية في النيلِ. تعزفُ بالناي لحنها السحري، وهي عارية، أسفل شجرة التوت. هل يرى أحدٌ منهم هذا؟ هو وحده يستطيع أن يراه. ومريمة، هل تعرفُ شيئًا عن هذه الأشياء؟ لا تعرف، هي فقط تعرفُ التغنُّج جيدًا، تتأوهُ مرة أخرى في الفراشِ، كي يأتي الطبيب، فيكشف عليها، وتتعرى، وتفتحُ أبواب حديقتها. أما هو فممنوع من الاقترابِ منها كالشيطان، مسجون خارج الدار في الكونِ الفسيحِ.

خلعت الأم عن مريمة جلبابها، وتركتها عاريةً تمامًا في

الفراشِ كما تحب. كانت الفتاة قد أخبرتهم أنها تشعرُ بنيران تلتهم جسدَها، تريدُ بعض الهواء. جسدها اللزج بقطراتِ العرق يلمعُ مع ضوء المصباح، أنفاسها تتسارع دون سبب واضح، تشهقُ، وتنخرُ، وتهدأ، ثم تعاود من جديد. الشيخ يقفُ بالخارج في انتظارِ الطبيب الذي تأخر مرة أخرى، والشمس كانت قد بدأت في الغروب حتى سقطت في الظلام الداكن، ومن بعيد كانت ظلال الحقول تبدو كالعفاريت التي تُطل برؤوسها وفضولها لتراقب الزائر المنتظر.

عندما وقف الطبيب تلك المرة أمام الغرفة رأى المرآة، رأى ظلًا غريبًا يعدو فوق الحائطِ. شعر بانقباض في صدره ثم دلف الغرفة وهو يشعرُ بشدة سواد الليل. أغلق نافذة الغرفة كي يطرد البرد وأنفاس الزائر الراحل، ألقى نظرة على مريمة فوجدها ساكنة كتمثال رخامي. جسدها لم يعد ينخر ويثور مثلما كان، وغادرتها رائحة الفواكه الطازجة. شعرَ بالألم الشديد فأغمضَ جفونها لعلها تحلم أخيرًا.

مريمة، الجميع يحكون عن مريمة ويبكون ما حدث لها. يقولون إن المسكينة قد لدغها ثعبان صغير كان مختبئًا في دورةِ المياه المظلمة. عندما خرجت من الحمامِ قالت لأمها إنها تشعر بألم شديد، هنا، وأشارت إلى أنوثتها، كأن هناك ما لدغها. بحثوا في دورة المياه فلم يجدوا شيئًا،

أرادوا أن يطمئنوا فهاتفوا الطبيب، لكن الطبيب لم يرَ في جسدِها مرضًا أو نقصًا أو عيبًا، كان كاملًا ومبهرًا وساحرًا، كالحكاياتِ، فظن مثلما يظن الجميعُ في مريمة، أنها فقط تتدلل من شدةِ الشبقِ. عجز الطب عن التفريقِ بين الشهوة والموت.

كان الصبي يجلسُ أسفل شجرة التوت عاريًا، يعزفُ بالناي لحنها القديم السحري. على يساره كانت مريمة تجلسُ، عاريةً أيضًا. ينامُ رأسها فوق كتفه الأيسر، وتشردُ في موسيقى الناي. تنظرُ إلى النيلِ أمامها، وما إن ينتهي اللحن تمسكُ بيده كي يقفزا في الغيابِ معًا، كي يضيعا في الأزرقِ والموسيقى.

عمارة سوداء

حقيقة: القصة تعرجُ بالبطلةِ

طابقًا تلو الآخر،

لكن، الغريب هو

أن كل فقرة (طابق) تعلو الأخرى

تظهر -من حيث الشكل- أسفلها.

مدخل العمارة / النص..

العمارة السوداء التي تسكنُها العناكبُ والموتى كانت تنتظرُها. والفتاة البائسة التي لا لون لها، كانت تجري في اتجاهها؛ تريدُ أن تهربَ من الشارعِ وتعدو بعيدًا عن الناسِ؛ فقد أدركتْ أخيرًا أن أهل الحي -جميعًا ..جميعًا- لا يملكون ظلالًا. تجرأت ونظرتْ أسفل أقدامهم فلم تجد شيئًا. الحواديت التي قرأتها في السر وهي صغيرة، تقول إن الذين لا ظِلَّ لهم أنصاف موتى، وفي الآونة الأخيرة لاحظت الفتاة أن جميع أهل الحي يزورون المقابر في وقتٍ متأخر من الليلِ. يقفون هناك صامتين، أسفل ضوء القمر، ثم

يعودون إلى بيوتِهم في هدوءٍ متآمر. المشكلة هي أنهم لا يأخذونها معهم.

العمارة السوداء التي وقفت الفتاة أمامها لم تكن تجرؤ على الاقترابِ منها من قبل؛ لأنها، وكما يقول أهل الحي، مسكونة بالعناكب والموتى. العمارة لم تتجملْ للفتاةِ وظلت على حالها، سوداء ويملأها الرَّدى. نافذة الطابق الأخير لاح من داخلِها بعض الأشباح، كانوا يجلسون في الظلامِ، يلعبون الورقَ ويدخنون السجائر. الفتاة التي ملأ الردى وجهَها، وهي تدخلُ العمارةَ، لم تترددْ أو تتراجع. كانت تفكرُ للمرة الأولى من خارج الصندوق، إذ إنها كانت تضعُ رأسها دومًا داخل صندوق ورقي وتردد: "أنا غبية.. أنا غبية". اليوم وجدَت نفسها تعيشُ هناك بين أنصاف موتى فما الذي يجعلها تخاف من أناسٍ اكتمل موتهم؟ ثم لماذا تصدق من الأصلِ حكايات لم ترها بعينيها؟

الطابق الأول / الأحمر.

الفتاة البائسة التي لا لون لها، دخلت العمارة مُسرعةً، لأنها شعرت بالطريقِ وراءها يزمجر غاضبًا ويريدُ التهامها. عندما لامسَ الرَّدى وجهَها لم تُذعَرْ، وكذا فعلت عندما لامس الظلام رُوحَها، إذ إنها تعرفُ جيدًا أن الشارعِ بالخارج مظلم بالمثلِ، لكن أعمدة الإنارة تكذبُ على الناسِ، وهي تريدُ الحقيقةَ. ما الحقيقة؟ الناس يتوارثون الحقيقة أبًا عن جد. يقولون: "هذه العمارة مسكونة

بالموتى والرَّدى"، لكن أحدًا لم يرَ الموتى. ماذا لو كان لهم لون أزرق جميل؟ وهي تحب الأزرق، تعشقُ الأزرقَ. لذا قررت أن تلمسَ تراب هذه الأرض وتتبع الرائحة القديمة. تشعر بروح سجينة في المكان، هل يُعقلُ أن يكون هنا من عاش في مثل هذا الحزن؟ فجأةً ترى تلك الروح. فتاة لها لون البنفسج، مُكبَّلة في حبال، أسفل جدار، تبكي مثل الفراشة. هل تراها بدورها؟ فتحت عينيها رغم الظلام، ورأتها تتلاشى فجأة، كما بزغت فجأة كأي شبح يفزعُ حين يلتقي بامرئ حيّ.

صعدت الفتاة البائسة الدرجَ، ورأت اللون الأحمر يتمدد فوق الجدارِ كبقع الدم. "هنا جريمة قتل.. جريمة شرف". تسمعُ هذا الصوت يضللها. تصمُّ أذنيها. هي تريد إيجاد الحقيقة وحدها. تتابع صعودها، واللون الأحمر يمتد بجوارِها. "هنا آلاف الموتى، قاتلهم واحد". الشيطان يرشدها / يضللها. ترى اللون الأحمر جيدًا لأن الظلام ينام في بئرِ السلم. هناك ضوء بالأعلى. ربما هو ضوء القمر. كان هو القمر بالفعل. كأن لا سطح لهذه العمارة، سطحها سماء مليئة بالأنجمِ. الفتاة كانت تتأمل اللون الأزرق والقمر بسعادة كبيرة، عندما لمحت ذلك الشبح يعدو هاربًا فوق الدرجِ ويختفي في الظلامِ. سمعت وسوسة أهل الحي "هذا هو قاتلها وعشيقها". أهذا هو؟ من يكون؟ من؟!

الطابق الثاني / الأزرق.

العمارة السوداء التي تسكنُها العناكب والموتى كانت جميلة جدًّا من الداخل ومليئة بالألوان. الأزرق كان يلامس الأحمر على الجدار كما تتمايل الشُّعَب المرجانية في الماءِ. وهذا الشبح الهارب فوق الدرجِ، كان هنا، ذات يوم، يرسم لوحة لفتاة لها لون البنفسج. واليوم حين رأت الفتاة التي لا لون لها ذلك الرسَّام تلاشى فجأة. سمعت صوتًا "هذا الرسام اغتصب ابنتنا" وبالطبع قتلها. الصوت يوسوس لها، يضللها. أهل الحي يصرخون "اترك ابنتنا". مَن يقصدون مِن الفتاتين يا ترى؟ البائسة أم القتيلة. صرخت الفتاة "جئت إلى هنا بمحض إرادتي". أي الفتاتين قالت هذا؟

الأشياء التي تركتها الفتاة بالخارجِ لا لون لها.. كلها. على سبيل المثال: فرشاة الأسنان رمادية، التلفاز أبيض وأسود، أمها المخمورة شاردة دومًا بهالاتها السوداء، وكذا والدها عامل السيارات المتسخ بالزيتِ والشحم. والناس الذين كانوا يذهبون كل ليلة إلى المقابرِ، يقفون هناك في صمت غريب، يمقتون كل أنواعِ الحلويات الملونة. هي لا تريد العودةَ إلى عالمِهم. تريد أن تتبع حكاية تلك الفتاة إلى آخرها، وذلك الرسَّام. مَن القاتل.. مَن القتيل؟ وربما بعدها تتبعُ بقية حكايات الموتى.

الطابق الثالث / الأصفر

العديد من الشموس قابلت الفتاة التعيسة فابتسمتْ ومات الحزن من عينيها، كانت لا تريد أن تتركَ جدارها الأزرق لكنها تريد معرفة بقية القصة. وجدت الشموس، وقابلت العديد من الموتى. كانوا يلوحون كالأطيافِ وينطفئون سريعًا. تجري، تسألهم عن بقية الحكاية فلا يجيبونها ولا يرشدونها. عليها أن تتبعَ قلبها. سارت وحدها. وجدت الرسَّام في إحدى الغرف يقبِّلُ الفتاة. لم يغتصبها، كان الاثنان واقعين في مصيدة الحب كعصفورين جريحين. لكن هذه القُبلة لم تدُم طويلًا إذ إن الرسَّام قيَّدها بالحبالِ، وحملها إلى الأسفلِ، وتركها هناك في الظلامِ. لكن فيما يبدو لم تنجح الخدعة. عندما اقتحمَ أهل الحي العمارة، لم يقولوا: "قام الرسَّام بخطفِ ابنتنا". وقتلوها لأنها عاشقة. كان أهلها يراقبونها ويعرفون جيدًا أنها تعشق. وكان لا مفرَّ من الدم.

الشموس. العديد من الشموس. الموتى يلوحون وينطفئون كالأنجمِ. الفتاة التعيسة كانت تتأمل فتاة البنفسج وترثي حالها. قتلها والدها لأنها فقدت شرفها ووجدت لونها. الشموس، العديد من الشموس والموتى. ما قصة كل هؤلاء يا ترى؟ ما الذي يجمعهم في هذه العمارة؟ وهي لم جاءت؟ وما قصتها؟ وهل هي مثلهم؟ هربت من الشارعِ المرصوف والمطلي بالأسهم البيضاء لأنها تحب الحلوى

الملونة. غريبة هي هذه العمارة التي يسكنها الرَّدى من الخارج والألوان من الداخلِ. الألوان.. الألوان. هل تراها؟ تعال. تعالي. تعالوا جميعًا إليَّ. أنا خالقكم.

الطابق الأخير / السماء.

كانت تعرف أنها لن تعرف شيئًا؛ لأن الموتى لا ينطقون للأحياءِ. لم يكن أمامها سوى الانعتاق من الحياةِ نفسها من أجل الحقيقة. صعدت الدرجَ الأخير، حيث لا سطح للعمارةِ، فقط السماء الزرقاء المليئة بالنجوم والأقمارِ. هناك رأت لونها المفضل، الأزرق، ووجدت روحها. ورأت أيضًا تلك الشمسية فأمسكتها وقفزت في الهواءِ عاليًا. لم تسقطْ أرضًا، بل عرجت بمظلتِها إلى السَّماءِ والنجوم. واستيقظت من النومِ بعد قليل. قالت: "هذا حلم غريب" وفتحت عينيها فوجدت نفسها في العمارةِ التي يسكنها العناكب والموتى، ورأت من حولها كل الموتى يجلسون بجوارها في الفراشِ، ويبتسمون لها، فتبتسم لهم بدورها. صارت مثلهم، تتجنب الأحياء الذين يدفعهم فضولهم إلى العمارة، لكنها قد تلقي بالإشارات إليهم هنا وهناك على استحياء.

إشارة: كل فقرة تأتي أسفل الأخرى

هي تعلوها من حيث الشكل

لكن..

ديناصور أزرق

الديناصورُ الذي ظهرَ فجأةً في شوارعِ القاهرةِ أفسدَ كل شيءٍ، وأنا كنتُ أريدُ العودةَ إلى المنزلِ. رأيتُ الناسَ يجرون مذعورين، ويصرخون كالمجانين، ويشدون شعرَهم المنكوشَ. يصطدمون بي، ويدفعونني بعيدًا عن طريقِهم. ما بال الرجل الأحمق يريدُ العودةَ من هذا الطريق، والديناصور هناك؟ نسيتُ محفظتي وأشياء أخرى مهمة. لكن الناس يسدون الطريقَ عليّ وفي ذهنِهم صورة واحدة.. الديناصور، ذلك الحيوان القديم، ذو الأقدام الكبيرة، الذي يهز الأرضَ هزًّا ويشقُّ الأسفلتَ والجدرانَ.

يوجدُ ديناصوران لم يخجلا من جسديهما، وفعلاها، فأنجبا هذا الصغير العابث في شوارعِ القاهرة. تذكرتُها فجأةً تلك النكتة السخيفة فلم تُضحكني، لكنها جعلتني أفكر، هل يفكرُ الناس مثلي؟ هل يتساءلون كيف ولمَ ظهرَ هذا الديناصور؟ بالقطعِ لا، هم فقط يخافون شر الأسنان الكبيرة. أسمع صراخهم، ها هم، أراهم. يجرون. يجرون ضدي. يصرخون "الديناصور وراء تلك العمارة العالية"، وأصرخُ أنا أيضًا: "ومنزلي. ومنزلي هناك".

هل ستحزنُ أمنية كثيرًا حين يقبضُ الموتُ روحَها؟ هذا

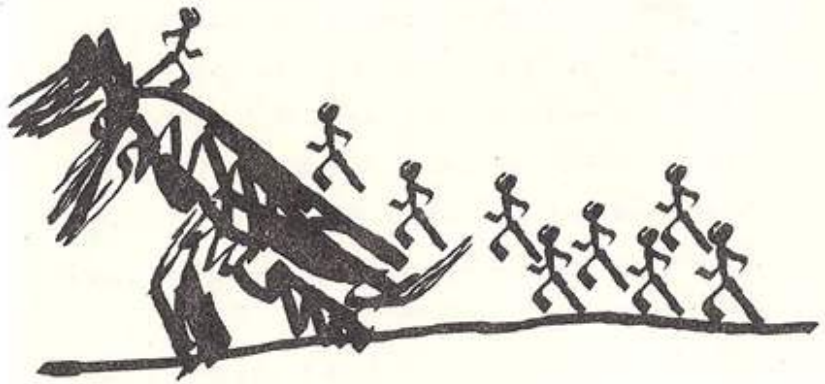

سؤال غبي، لكنني أبوها، وهي جدّ صغيرة على الموتِ. لماذا يخافُ هؤلاء الحمقى من الديناصور؟ ربما كان أليفًا وأزرق اللون. هي تحب الديناصورات واللون الأزرق، تقول دومًا، كان لا بُد لهذا الحيوان الأخرق أن يعيشَ حتى يرى الطائرات. واليوم يا أمنية، يوجد ديناصور لعين يحولُ بيني وبينكِ.

صورٌ غريبة في عقولِ الناس كانت تستطيعُ أن تُضحكني، لكني لم أعلم بوجودِها سوى فيما بعد. مثل: ديناصور يمارسُ العادةَ السرية وراء تلك العمارة، ديناصور يتلصصُ على تلك الفتاة وهي تدعكُ جسدها في حمامِها، ديناصور يرتعشُ بالقربِ من كمين الشرطة هناك. وأشياء أخرى كثيرة عرفتُها فيما بعد عن ذلك الديناصور، حين قصَّ الناسُ بأفواههم ما رأوه بأعينهم.

أنا لم أرَ الديناصور الشرير، لم أرَ سوى هذا الحشد الغفير الذي يجري ضدي. وكنتُ أرى أمنية أيضًا، ابنتي التي ستُقلعُ طائرتها بعد قليل من أجل رحلة علاجها من السرطان. قالت لي هناك في المطارِ: "أريدُ دُميتي، وألبوم صوري، ودفتر ذكرياتي، وكتاب الحواديت". قالتها كأنها تعرفُ حقًّا أن هذه الأشياء وحدها هي ما ستجعلها تعيشُ بيننا للأبدِ.

الديناصور الذي ظهرَ فجأة في شوارعِ القاهرة أفسدَ كل شيءٍ. هذا الزحام يخنق رئتيَّ، الناسُ يريدون إجباري

على الهربِ معهم، يمسكون ذراعيّ، قدميّ، ورأسي. يجرّون جسدي، يقولون: "تعال يا رجل، سننقذُ حياتكَ، هنالك طرق كثيرة للهرب"، أصرخ: "لا.. هذا الطريق لي، هذا الطريق لي". يلعنون غبائي، يضربون رأسي، يشدون شعري. هناك ديناصور طليق في شوارعِ القاهرة، "أيها الأحمق". يشتمونني وهم يجرون، يصرخون ويصيحون، والذين يتعثرون منهم يرفعون أيديهم للأعلى حتى يحموا بها رؤوسهم من الدهسِ. والليل هادئ جدًّا، هادئ جدًّا وجميل، لولا صخب الناس.

الديناصور الذي ظهر فجأة في شوارعِ القاهرة، لم يكن وحده، كان هناك آلاف من الديناصورات تطاردنا، وطيور الرخ والعنقاء، وغيلان كثيرة، كل هذه الأشياء ظهرت فجأة في الطرقاتِ عندما قررت أن أعدو مع الناسِ وأهرب بعيدًا.

القصص

7 دودة تعشق الفودكا

13 بنت حلوة وعود

21 توق الفراشة

29 كأس مقدس

37 إنجيل يهوذا

43 الحياة خارج التلفاز

49 مؤخرة بيضاء

57 صلاة أخيرة

63 بازل

75 مريمة والناي

81 عمارة سوداء

89 ديناصور أزرق

مصطفى الشيمي

روائي مصري، من مواليد 1989، صدرت له رواية "حيّ" عن دار العين، فاز بالعديد من الجوائز الأدبية، منها:

- مسابقة كتاب اليوم الأدبية - الدورة الثانية 2010 - عن فراشات ملونة، مجموعة قصصية.
- مسابقة هيئة قصور الثقافة، دورة خيري شلبي 2012، عن عاهرة القمر، مجموعة قصصية.
- مسابقة دار جان للنشر الألمانية عن قصة إنجيل يهوذا، 2012.
- مسابقة دبي الثقافية، 2015، عن الحياة خارج التلفاز "بنت حلوة وعود" مجموعة قصصية.

بنت حلوة وعود

- نص -

كانت تقف أمام الكاميرا كما تقف أمام المرآة، عارية تمامًا. تتأمل جسدها وترى جمالها وقبح هذا العالم. تتذكر كلمات المخرج لها: "أنت المسيح"، تتعرق، تتغنج، تتأوه، تعرج إلى ذروة نشوتها. يصرخ المخرج "Stop" فلا تتوقف. هل سمعت المخرج؟ تكمل التمثيل. تتأمل موتها هي على الصليب. تقول للناس: "أنا هي نور العالم"، يأتي إليها سمعان ويقول لها: "دعيني أحمل عنك الصليب"، فترفض. الصليب لها؛ لأن الحياة الأبدية لها. تسمع المخرج يصرخ مرة أخرى "Stop"، فلا تتوقف. هل سمعت المخرج؟ هي فتاة غير مهذبة لا تسمع الكلام. ماذا يقول المخرج؟ يقف أمامها مباشرة، هي لا تراه. يصفق بحرارة ويصيح غاضبًا في ذات الوقت، وهي لن تتوقف حتى تكتمل متعتها. بعد قليل يعود إليها إدراكها وتنظر حولها. تتأمل الـ Studio، الكاميرا، والمعدات. تهدأ.. تفكر. هل أتقنت الدور؟ تطمئن لأن المسامير لا تزال مغروسة في جسدها.

• • • • • • • • • • •

مصطفى الشيمي

روائي مصري، من مواليد 1989، صدرت له رواية "حيّ" عن دار العين، فاز بالعديد من الجوائز الأدبية، وحصل عن هذه المجموعة "بنت حلوة وعود" على جائزة دبي الثقافية 2015، وجائزة دار "جان" للنشر الألمانية عن قصة إنجيل يهوذا، 2012، وجائزة هيئة قصور الثقافة، دورة خيري شلبي 2012، عن "عاهرة القمر"، وجائزة "كتاب اليوم" الأدبية 2010، عن "فراشات ملونة" 2012 .

غلاف: عبد الرحمن الصواف

الربيع العربي للنشر والتوزيع